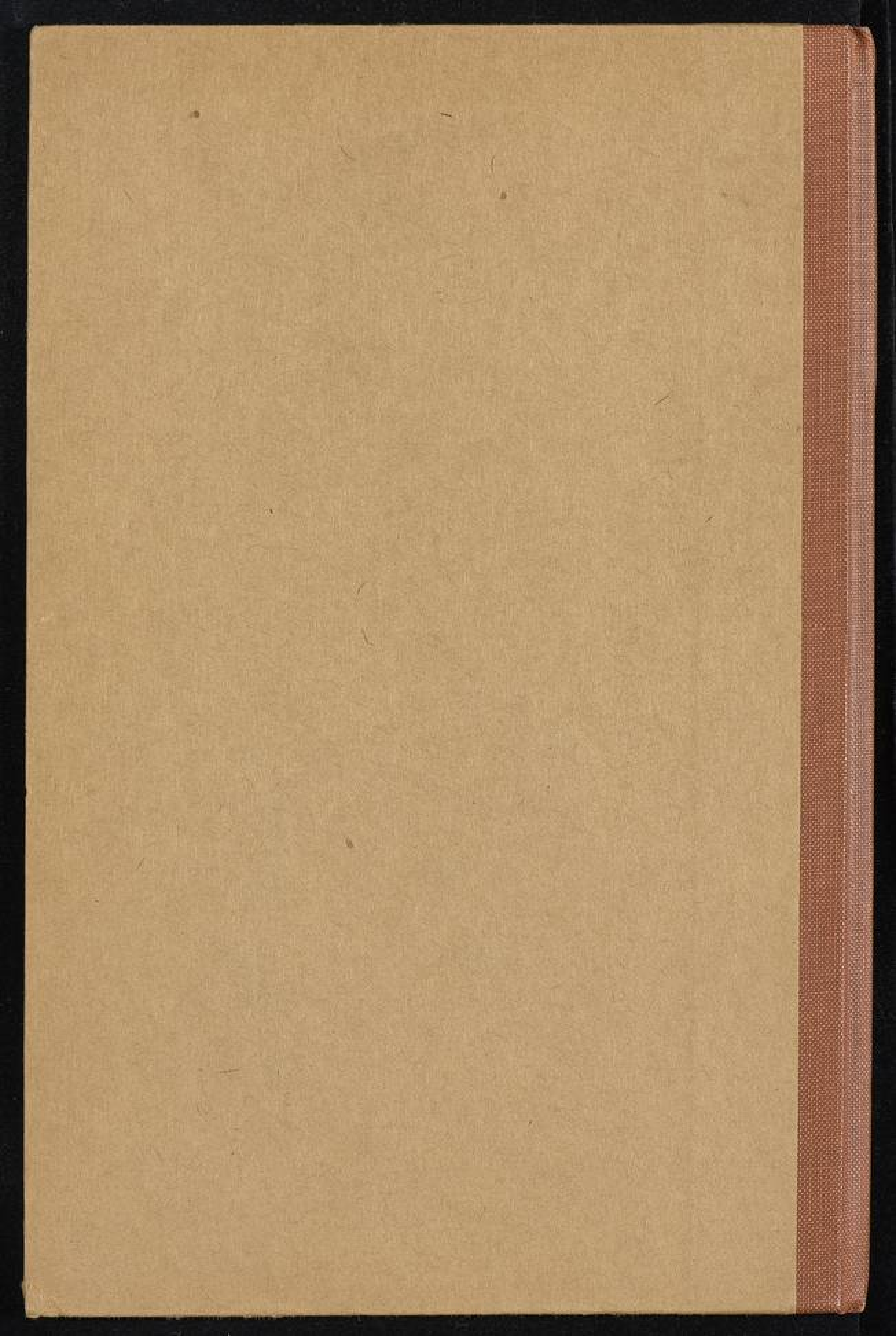


Arthur Jeffery
Cairo. 1924

ابحاث المجتهدين

في

الخلاف بين النصارى والمسلمين

امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن (١ تس ٥ : ٢١)
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم (آل عمران ٥٧)

« تأليف »

نقولا يعقوب غبريل

طبع ثالثة بمصر القاهرة
سنة ١٩١٣

مقدمة

اما بعد فانني قد قضيت حيناً من الدهر في عشرة كثيرين من اخواني المسلمين وجلهم من علماء هذا العصر ودارت بيننا الابحاث الدينية بطريقة حبية واخلاص نيَّة ولما كنا طرقنا كل بحث وولجنا كل باب جال في خاطري ان ادون خلاصة تلك الابحاث لعلها تفيد قوماً يتفكرون وتهدي الاولى عن صراط الحق يفتشون. اؤلئك الذين جعلوا الانصاف وجههم والحقيقة ضالتهم. حتى اذا اتضح لهم الحق اعتنقوه وباعوا كل شيء عندهم واشتروه. اؤلئك يغبطهم العالمون واؤلئك هم المفلحون. وقد اتخذت في البحث طريقة تلائم المسلم العاقل ولا يستنكرها الباحث الفاضل وهي ايراد البراهين من القرآن والاحاديث والتاريخ ما أمكن. لانها اوقع في نفس المسلم وليس له عليها اعتراض لذلك بها فصل الخطاب. لاجرم ان الحقيقة بنت البحث كما عرفها العلماء فطالبها لا يستنكف من الجولان في مضمار البحث حباً في الحصول عليها. وصاحبها لا يتقاعد عن البحث لان البحث يزيده رسوخاً فيها. فلا تمتعض ايها الاخ المسلم من البحث بروح التقوى لانك اما ان تفيد أو تستفيد فتخرج من ميدان البحث على الوجهين رابحاً. ان استشهادي بالقرآن والاحاديث لا يلزمني ان اعترف بصحتها وقوانين البحث المنطقية والشرائع المدنيـة تجيز لي ذلك (انظر الملوي على السلم صفحة ١٣٧ ومجلة الاحكام العدليـة مادة ٧٩) سيما اني مضطر اليها بحكم الضرورة لان أخي المسلم لا يعترف بادئ بدء بصحة كتابي (التوراة والانجيل) والا لأوردت

اهُ منهُ البراهين المتعددة على صحة كل بحث من ابحاث هذه الرسالة لتزيل من قلبه كل ريب مستحكم وتستبدل الشك باليقين

اخواني المسلمين أليس لنا ولكم قصد واحد في الدين . ألا وهو عبادة الخالق والوصول الى طريقة لمنال السعادة الدائمة بعد الموت . فانتم تتخذون طريقاً للحصول على هذا ونحن نتخذ طريقاً آخر . فما ضرنا لو بحثنا في الامر ملياً بروح التواضع والتقوى لمعرفة الصحيح منهما لان الحقيقة واحدة لا تتجزأ لنسير معاً بالاتفاق فننال رضى خالقنا الله ونتمتع بجنات عدن خالدين . وما حملنا على تأليف هذه الرسالة ونظائرها الا الحب الخالص وقصدنا أن تسيروا معنا وتقاسمونا الخلاص الذي نلناه بالمسيح عيسى وتشاركونا في الحياة الابدية . فاذا نحن تمنينا لكم من السعادة والفرح والخلاص ما نتمناه لأنفسنا لا يمكن ان نكون لكم من الكارهين بل من المحبين الغيورين . فلا تسيئوا فينا الظن هداكم الله الى الصراط المستقيم

ليس في البحث مجاملة (يا أمي ارحميني) فلا يؤآخذني أخي المسلم اذا وجد في كلامي ما يثقل على سمعه لانني اقصد بهِ تقرير الحقائق لا الحط من كرامة معتقده ولا يجوز ان اخالف معتقدي لأرضيه لان المقام مقام بحث كما انني لا أنتظر منهُ ذلك بيد اني أعِدُ القارئ الكريم انني اتجنب كل كلام يشتمُّ منهُ رائحة الاغاظة أو التشفي أو الاحتقار . واعترف انني إستعنتُ بتأليف السابقين في بعض فصول رسالتي هذه جعلها الله نافعة وواسطة للاتفاق انه يستجيب دعآء المخلصين وهو حسبي وبه استعين

البحث الاول

الفصل الاول

في صحة التوراة والانجيل

لما كان الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) ركن عقائد الدين المسيحي وأساسه والحكم الوحيد الذي يرجع اليه المسيحيون في حل المشاكل والقاضي العادل الذي لا يخاف في اظهار الحق وازهاق الباطل لومة لائم والشاهد الامين في القضايا الشرعية قد جعلته فاتحة ابحاثي حتى اذا أُثبتُ صحته لاخي المسلم بالحجة الدامغة والبرهان المنطقي امكننا كلينا ان نستفتيهُ في كل دعوى ونرجع اليه عند كل اختلاف راضخين لاحكامه ومستنيرين بمشكاة هداه انه نور وهدىً للعالمين

فأقول على سبيل الاختصار

(١) قد ورد في القرآن في سورة آل عمران (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدىً للناس)

(٢) وفي سورة المائدة (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتي تقيموا التوراة والانجيل)

(٣) وفي سورة المائدة ايضاً (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه)

(٤) وفي سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكتهِ

وكتبهِ ورسلهِ واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً)

(٥) وفي سورة سبأ (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) « التوراة والانجيل »

(٦) وورد في سورة القصص (قل فأتوا بكتاب هو اهدى منهما « القرآن والانجيل » أتبعهُ)

(٧) وفي سورة المائدة (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله)

ان معاني الآيات السالفة الذكر واضحة غاية الوضوح حتى انها لا تحتاج الى تأويل الرازي أو تفسير الكشاف

فالآية الاولى تفيد ان الله أنزل التوراة والانجيل لهداية الناس والثانية تبين صحة التوراة والانجيل والاّ لما كان محمد يطلب اقامة حدودهما والثالثة تبين ان الانجيل منزَّل من عند الله وان محمداً راضخ لاحكامه والرابعة تحكم بضلال المسلم الذي لا يؤمن بالتوراة والانجيل ايمانه بالقرآن والخامسة تبين ان أهل مكة كانوا يعرفون التوراة والانجيل كما كانوا يعرفون القرآن والسادسة تبين اقرار محمد بصحة الكتاب ومساواته اياه بالقرآن والسابعة تبين الاقرار الصريح على ان التوراة صحيحة سالمة فيها حكم الله وان متبعها ليس في حاجة الى ان يحكم احداً سواها . وخلاصة الآيات ان الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) تنزيل الحكيم العليم نور وهدى للعالمين وان احكامه مرعية وواجبة الاتباع وان من لا يؤمن أو يكفر به من المسلمين يكون دينه ناقصاً ويضل ضلالاً بعيداً . وان أهل مكة كانوا يعرفونه كما كانوا يعرفون القرآن

أتعرض بعد هذه الآيات الصريحة أيها الاخ المسلم عن الايمان بهذا الكتاب وتحسب كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً . بماذا تعتذر عن عصيانك

51

أوامر الله يوم الحشر يوم تناقش الحساب. انصح لك ان تقرأ هذا الكتاب (التوراة والانجيل) وتؤمن به وتعمل باحكامه اذ تجد فيه الواسطة الوحيدة للتوفيق بين عدل الله ورحمته والتطهير من الخطايا والحصول على السعادة الاخروية بالمسيح يسوع الوجيه في الدنيا والآخرة

ولرب معترض من اخواني المسلمين يقول. ان الآيات التي استشهدت بها حق وما استنتجته منها حقيقة لا ريب فيها ولكن التوراة والانجيل الذين تطلب مني الايمان بهما والتي شهد بصحتهما القرآن قد تغيرا وتبدلا ولعبت بهما أيدي التمزيق . وما تسمونه الآن بالتوراة والانجيل يخالف الاصل الذي شهد له القرآن تمام المخالفة لذلك ترى المسلمين معرضين عنهما ونابذين احكامهما ولا لوم عليهم بذلك ولا تثريب . فاجيب المعترض وامثاله بما يأتي راجياً من القارئ الكريم ان يمعن النظر في جوابي وينصف في الحكم وله الفضل فأقول : قد علمت من الآيات القرآنية المذكورة آنفاً ان الكتاب (التوراة والانجيل) كان في أيام محمد على غاية من الاحكام والصحة والا لما كان محمد أمر بوجوب الايمان به والرضوخ لاحكامه واقامة حدوده. أو وجب عليك ان تقرَّ انه كان يوماً ما على الاقل صحيحاً لا تغيير ولا تبديل فيه

وارجو منك ان تقرأ الآيات التالية وقل لي بعدئذٍ بحقك هل يمكن أن يحصل هذا التغيير وهل يستطيع البشر ذياك التبديل

(واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدّلَ لكلماته) «سورة الكهف»

(ولا مبدّلَ لكلمات الله) «سورة الانعام»

(لا مبدّلَ لكلماته) «سورة الانعام»

(لا تبديل لكلمات الله) « سورة يونس »

(ولن تجد لسنة الله تبديلاً) « سورة الفتح »

(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) « سورة السجدة »

(انّا نحن نزّلنا الذكر وانّا له لحافظون) « سورة الحجر »

فترى مما تقدم انه لا يقدر احد ان يبدل كلام الله وان الله أنزل كتاباً ووعد بحفظه فاذا قلت ان المقصود بالذكر هنا هو القرآن قلت بل يعني أيضاً التوراة والانجيل بدليل قول القرآن : فاسئلوا أهل الذكر (التوراة والانجيل) ان كنتم لا تعلمون : (سورة الانبياء) بل ان التوراة نفسها قد سميت القرآن : ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين : (سورة الانبياء) وان قلت ان الآيات تدل على حفظ القرآن قلت كلما يصدق على القرآن يصدق على التوراة والانجيل واليك البيان الشافي والبرهان المنطقي .

التوراة والانجيل كلام الله والقرآن حسب اعتقادك كلام الله وأنت تعتقد ان الله قال في القرآن ان لا مبدّل لكلماته وانه يحفظ ما أنزله من التبديل والتحريف والزيادة والنقص (كما افاد الجلالين) فهل تستطيع بعد ذلك ان تحكم ان التوراة والانجيل قد تغيرا فان سلمت بهذا لزمك ان تسلم بتغيير القرآن أيضاً لان ما جاز عليهما يجوز عليه لانه اذا قدر الناس على تغيير كلام الله التوراة والانجيل فهم يقدرون على تغيير القرآن أيضاً لا محالة كما صرح الامام الرازي وهذا أي تغيير القرآن ما لا تسلّم به اذاً وجب عليك ان تقول باستحالة تغيير التوراة والانجيل وتبديلهما وتقرّ بصحتهما وتعمل باحكامهما وتتخذهما مرشداً الى المسيح الطريق والحق والحياة واما التحريف الذي اشار اليهِ القرآن في سورة المدنية فهو واقع بحق بعض اليهود فقط والانجيل لم يقل ضده القرآن شيئاً من هذا . والتحريف المشار اليهِ قد حصل في المعاني أي

50

في تفسير الآيات اذ كان اليهود يفسرون الآيات خلافاً لما اراد محمد كما أثبت هذا الرازي والبيضاوي عند تفسيرهما آيات التحريف والاّ لكان كلام القرآن في السور المدنية مناقضاً لكلامهِ في السور المكية . ومن اراد الزيادة في هذا الباب فليطالع كتاب البرهان الجليل على صحة التوراة والانجيل ونبذة أين الانجيل الحقيقي فيرى من الحقائق الراهنة ما لم يخطر له ببال والله الهادي الى الصواب

الفصل الثاني

﴿ في اثبات صحة التوراة والانجيل عقلياً ﴾

يعلم كل عاقل حق العلم ان الله الذي ابدع الكائنات السموات والارضين وما بينهما بكلمة قدرته الازلية هو قادر . ويتحقق من اتقان صنع هذه المخلوقات وكمال شرائع الكون ونواميسهِ وسيرها مئين من السنين على نظام واحد لا يتغير ان الله حكيم . وبما ان الله قادر حكيم فلا بدَّ من انه يصنع دستوراً ويكتب شريعة لمخلوقاته الناطقة العاقلة كي تعلم نسبتها الى خالقها وواجباتها نحوه وواجباتها بعضها نحو بعض وتعرف مصير العالمين وقصاص العصاة وثواب الطائعين المؤمنين . والا لأصبح الناس فوضى لا وازع لهم ولا مشترع كالانعام يدوس بعضهم بعضاً وان شئت فقل كالاسماك التي يأكل كبيرها صغيرها ويفني الناس بعضهم بعضاً كالاقوام المتوحشة التي بادت وتستوي اذ ذاك الفضيلة والرذيلة بل لا يعرف لهما اسماً او مميزاً وهذا ما لا يرضى به الله القادر الحكيم

فاذا لم يكن ذاك الدستور وتلك الشريعة هما التوراة والانجيل فقل لي بعيشك ما هما.هل يوجد كتاب قديم مقدس يفي بالغرض المقصود كالتوراة والانجيل كلا لعمري

ولا شك ان الله القدير الحكيم اذا نزّل كتاباً دستوراً وهدىً للعالمين يحفظه من التلف والتغيير والزيادة والنقصان والاّ لتمزق الدين كل ممزق وأصبحت الكتب متعددة واختلفت الآراء وضاعت الحقيقة ووقع الناس في حيص بيص وحاشا لله ان يفعل ذلك لانه قد حفظ كتابةُ التوراة والانجيل جيلاً بعد جيل من كل تغيير وتبديل وابقاهما نبراساً يهتدي بهما كل الضالين

واعلم أيها القارئ ان الاجماع على تغيير الكتاب (التوراة والانجيل) مستحيل لان الديانة المسيحية والديانة اليهودية كانتا وقتئذٍ منتشرتين في الشرق والغرب في الشام والاناضول ومصر والحبشة والهند واوربا وكان الكتاب لاسيما الانجيل مترجماً الى كل لغات الاقوام التي دخل بينهم كالعربية والارمنية والحبشية والقبطية واللاتينية من اللغتين اليونانية والعبرانية الاصليتين فكيف يعقل ان هؤلاء الالوف يجتمعون ويتفقون على تغييره مع اختلافهم في اللغة والعقيدة سيما ان المسيحيين كانوا شيعاً متعددة كل واحدة تناظر الأخرى.ولا شك ان قول المسلمين بتغيير الكتاب هو دعوى بدون دليل والاّ فليخبرونا أين الآيات المتغيرة وما هي وما أصلها وما الغاية من تغييرها . فان عجزوا ولا مرآء انهم عاجزون قل لهم كيف جاز لكم هذا الادعاء والعالم الحكيم لا يقدم على أمرٍ الأولديهِ ما يثبت مدَّعاه . واعلم ان الانجيل خصوصاً كان منقولاً الى العربية قبل ظهور الاسلام لفائدة قبائل

49

العرب المتنصرة كحمير وغسان وربيعة واهل نجران والحيرة وغيرها والا فكيف عرف هؤلاء النصرانية ويؤيد هذا ما جاء في كتاب الاغاني ان ورقة ابن نوفل (وهو أشهر كتبة العرب لزمن محمد) كان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربية من الانجيل ما شاء أن يكتب. فلو حصل تبديل في الانجيل لكان المسلمون حفظوا الاصل اثباتاً لدعواهم

واما اليهود فقد ضرب المثل بشدة حرصهم على كتابهم فهم يعرفون عدد كلماته واحرفه كما يعرف هذا كل من عاشر رؤساءهم فالكتاب المقدس جميعه اذا لم يعتره تغيير ولن يعتوره تبديل كما شهد لذلك النقل والعقل

واذا تعددت الكتب فلا يشتبه عليك الحق بل افحص وفتش وقابل تتضح لك الحقيقة . فالكتاب الذي يضرب على ايدي الشهوات والاميال النفسانية وله اليد الطولى في تغيير القلوب الشريرة وموافق لصفات الله الطاهرة وصالح للعمران وهو مصدر المحبة لله والناس على اختلاف اديانهم والآمر بمحبة الاعداء ومسامحة المعتدين والمعتبر كل بني آدم اخوة هو الكتاب المنزل من واجب الوجود للعمل به بين العباد في كل قطر و بلاد

الفصل الثالث

﴿ في اثبات صحة الكتاب المقدس تاريخياً ﴾

ان قدمية الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) وصحته أمر لا يقبل المراء وليس لكتاب آخر في الكون ما له من البراهين على اثبات ذلك . ولما كان التاريخ اعدل شاهد واصدق دليل قصدت ان استشهده في بحثنا هذا

كي يكشف لنا النقاب ويوضح الحقيقة بأجلى بيان وعلى القارئ ان يحكم بالعدل والصواب

لا يخفى ان الكتاب المقدس يشتمل على قسم كبير من النبوات التي تمَّ اكثرها والباقي لا بد من ان يتم في حينه وقد سبق الله فأنبأ بفم انبياءه الكرام بحصول حوادث متعددة من قيام ملوك وسقوط آخرين وخراب مدن عظيمة وانقراض أمم شادت لنفسها عزاً باذخاً ولم تكن لتحلم بما حل بها من الفناء قبل حصوله

فناحوم النبي تنبأ بصراحة عن خراب نينوى عاصمة الاشوريين المدينة العظيمة التي كان ارتفاع اسوارها مئة قدم ومحيطها ستين ميلاً وعليها الف وخمسمائة برج ارتفاع كل منها مئتا قدم في حالة عظمتها وقد تمَّ هذا حرفياً. واشعيا وارميا تنبأ بالخراب على بابل عاصمة الكلدانيين وهي في حال سمو مجدها وعظمة اقتدارها وزهوها فلم يمض مئة وستون سنة من تاريخ النبوة حتى خربت بابل العظيمة حسب النبوة وقد ذكر هيرودتس وزنفون المؤرخان عن كيفية خرابها ما يطابق اشد المطابقة ما أنبأ به النبيان . وانني حباً بالاختصار اترك النبوءات على صور وصيداء وأورشليم وامة اليهود وشعوب أخرى واتمامها واذكر النبوات المذكورة في الكتاب على القطر المصرى فقط موضع طبع هذه الرسالة لوقوع هذا في النفس اكثر من تلك فأقول.

يعلم كل من درس التاريخ ان مصر كانت من اقدم الممالك واشهرها في القوة وازهرها في العلوم والمعارف واجودها ارضاً وتربة واغناها مالاً واتقنها صناعةً ومن الادلة على مجدها القديم وعزها الباذخ الاهرام الشهيرة التي يحسدها الزمان وخرائب المدن والهياكل وقبور الملوك العظام

48

ولا يخفى ان مصر قد امتازت على غيرها بسلالة ملوك طال تسلطها فحق لها الفخار . وبقيت منذ انشاء العالم مملكة عظيمة سائرة في طريق الفلاح بدون ان يعترض تقدمها أمر او يكدر سلامها شيء الى ان اتى عليها حين من الدهر نادى فيه الانبياء بانحطاطها على رؤوس الاشهاد . مع ان حدوث هذا كان أمراً فوق الاحتمال ومخالفاً لحكم الاختبار لما كانت عليه مصر وقت النبوة من المنعة والاقتدار والعز والجلال. وقد تمت هذه النبوات بطريقة عجيبة اثباتاً لصحة الكتاب فخضعت مصر نحو ٧٩٩ ق. م. لنبوخذ نصر ملك بابل بحسب ما قال الله بفم ارميا ٤٦ : ١٣ وحزقيال ٣٠ : ١ ثم لكمبيز ملك الفرس نحو ٧١٢ سنة وبقيت خاضعة للفرس نحو ٣٥٠ سنة ثم اخضعها اسكندر الكبير نحو ٣٣٠ سنة وبقيت في حوزة المكدونيين ٢٩٤ سنة الى ان وقعت في يد الرومانيين نحو السنة الثلاثين قبل التاريخ المسيحي . ومن ثم تداول عليها العرب سنة ٦٤١ م والمماليك وملوك آل عثمان. والذي يدرس تاريخ مصر في المطولات يرى اتمام النبوات الحرفي شاهداً بصحة الكتاب. وكل هذا لا يحسب شيئاً بالنسبة الى النبوتين التاليتين قوله تعالى على لسان حزقيال ١٣:٣٠ « ولا يكون بعد رئيس من ارض مصر » وزكريا ١٠ : ١١ « ويزول قضيب مصر »

ان التاريخ افصح ناطق واعظم شاهد يبين ان بسامنتس بن اماسز هو آخر ملك مصرى الجنس قام في مصر ومن بعد ما زحف كامبيز الفارسي على مصر واخضع الملك المصرى ودوخ البلاد واخضعها اخضاعاً تاماً نحو سنة ٣٥٠ ق . م . تعاقب الملوك الاجانب على مصر كما رأينا سابقاً ولم يعد يقوم ملك مصرى في مصر للآن لذلك صار لمصر مدة ثلاثة وعشرين قرناً

مغتصبة من ايدى اصحابها الاولين ولم يقم ملك مصرى ليتسلط عليها اتماماً لنبوتي حزقيال وزكريا من ذلك الوقت الى الآن ومن اراد الزيادة في هذا الباب فليطالع كتاب «البينة الجلية على صحة الديانة النصرانية» اتريد بعد هذا أيها الحبيب المسلم برهاناً حسياً اعظم من هذا على صدق التوراة والانجيل . أليس عدم قيام رئيس من مصر وزال قضيب ملك مصر كل القرون الماضية برهاناً ثابتاً وحجة دائمة لاريب فيها على صدق الوحي الالهي. اللهمَّ اظهر الحقيقة لاخواننا المسلمين وأنر اذهانهم ليعترفوا بالحق اليقين وبارك عليهم واهدهم سواء السبيل

الفصل الرابع

﴿ في شهادة الآثار ﴾

اذا وجد التاريخ من يجرح شهادته فشهادة العاديات الآثار القديمة لا تجرح وعليها جلّ اعتمادي في الفصل الآتي :

ان الاسفار المقدسة كانت ولم تزل عرضة لسهام المنتقدين وغرضاً تلطمهُ نبال الكفرة الملحدين لانها ضد اهوآءهم الشهوانية وآراءهم الصبيانية وفلسفتهم الجهنَّمية لذلك بحث كثير منهم في الآثار القديمة في فاسطين وبابل وأشور ومصر بغية ان يجدوا فيها ما يسفّه أقوال الوحي الالهي اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً كي يبرهنوا للعالم ان الكتاب المقدس خلط أقاويل وتقاليد منحرفة . لكن الله قد أحبط مساعيهم فطاش سهمهم وخاب ظنهم وجاءت الرياح بما لم تشتهِ سفنهم وكانوا كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ . لان السنة تلك

47

العاديات التي اكتشفت أعربت عن موافقة تامة لما جاء في اسفار الوحي مع ان الذين كتبوها (الكتابات التي وجدت على الآثار) هم من الوثنيين

ولما وجد اخواننا المسلمون ان هذه الاسفار تخالف تعاليم قرآنهم الجوهرية رشقوها بألسنة حداد وادعوا عدم صحتها ولكن دعواهم يُؤَيَّد بالبرهان الصحيح والدليل الصريح وبما ان شهادة الآثار القديمة قد اقنعت كثيرين من الملاحدة الباحثين قصدت ان اشير الى بعض هذه الآثار لعلها تفيد اخواننا المسلمين كما أفادت اؤلئك من قبل والله الهادي الى الرشاد

ان انتقاد الكفرة على الكتاب والريب فيهِ راجع الى امرين أولهما الظنّ بأن الكتابة كانت مجهولة أو انها كانت قليلة الاستعمال في فلسطين (برّ الشام) حتى قبيل الجلاء البابلي نحو سنة ٥٤٠ ق . م . ولذلك يظنون انه لا يعقل ان موسى وغيره كتبوا في ذلك الوقت وثانيهما ان التوراة قد غالت بوصف حضارة الشرق القديم الى حدٍّ يفوق التصديق لمغايرته لاقوال المؤرخين القدماء . على ان الاكتشافات الجديدة قد أيَّدَت صحة أقوال الكتاب وتمثَّل لدينا تمدن مصر وبابل وأشور بجلاء وظهر لنا سنحاريب وتغلث فلامر ونبوخذ نصر يقصون علينا أخبارهم وحضارتهم والمعارك التي اشتركوا فيها وصار يمكننا ان نرى رسم الحروف التي كتب بها أشعيا وأرميا بل موسى والحجارة قد نطقت شاهدة لاقوال الله وقد أثبتت هذه الآثار ان صناعة الكتابة كانت متقنة في عهد حزقيال وموسى وابراهيم منذ ٢٢٣٤ سنة ق.م. كما هي متقنة في أيامنا هذه

وها أنا أذكر الاشياء المهمة والحوادث العظيمة المذكورة في التوراة التي أثبتت صحتها الآثار القديمة كما ترى

ان الصفائح الأشورية الأصليـة المعروضة الآن في المتحف البريطاني للمتفرجين تثبت بأجلى بيان تفصيلاً قصة الخلق (المذكورة في بدء التوراة) بطريقة مدهشة . ولولا الاختصار لنقلت للقارئ ترجمتها وهي : وان كانت ممزوجة بالخرافات فالحقيقة ظاهرة فيها وقد أثبتت هذه الصفائح عينها وجود زوجين اصليين من البشر اذ قيل فيها: أن يكون اثنان خلقهما الرب ذو الوجه الشريف » ويوجد في معرض التحف المذكور آنفاً صورة على عامود بابلي قديم تمثل آدم وحوّاء أبوينا الاولين والشجرة بينهما والحية خلف حوّاء طبقاً لما ذكر عن سقوطهما في الاصحاح الاول من التوراة

حسب العلماء غير المؤمنين سابقاً ان قصة التوراة عن الطوفان ليست الا خرافة من اساطير الاولين وحادثة لا تقوى على معارضة الباحثين وخبراً تزيفه براهين العلماء المدققين ولكنهم بعد الابحاث الطويلة رجعوا خاسرين اذ دلّت الآثار على غلطهم المبين فاعترفوا بصحة الطوفان وعرفوا الحق اليقين واخص بالذكر منهم علماء الجيولوجيا لانه وجد في أشور صفائح معروضة الآن في المتحف البريطاني ومكتوب عليها كيفية بناء الفلك وحفظ أنواع الحيوانات والناس ونزول الامطار حتى غطت وجه الارض (حيث وجدت الاحياء) وأهلكت الانسان والحيوان مع اكثر تفاصيل القصة

وقد وُجد في كل قارة من قارات الارض كميات عظيمة من الاصداف البحرية متجمعة او متفرقة في طبقات اليابسـة في رؤوس الجبال واعماق الاودية ومنها اصداف مختصـة ببحار مخصوصة ومنها وجود اجسام اسماك وانواع نباتات بحرية متحجرة في وسط طبقات الجبال يمكن ان يطلع عليها كل انسان في اي معرض كان

46

وقد اكتشف المستر سمث في خرابات نينوى صفيحة ترى في المتحف البريطاني مكتوب عليها ما يثبت تبلبل الالسن في بناء برج بابل (تك ١١) وقد وجد لوحاً في خرابات اشور يوصف خراب سدوم وعمورة بالنار والكبريت كما ذكر في التوراة (تك١٩ : ٢٤) والآثار قد ايدت صحة خبر غزوة كدرلعومر ملك عيلام وحلفاءه في فلسطين ومن جملتهم امرافل ملك شنعار وبابل الجنوبية المذكورة في الاصحاح الرابع عشر من صفر التكوين

وقد انكر هيرودتس و بلوترك على موسى النبي وجود الخمر واستعمالها في مصر ولكننا عرفنا من الاطلال المصرية ان المؤرخين قد غلطا في زعمهما وان المشترع موسى النبي كان مصيباً لانه قد وجد صُوَر في قبور مصرية تصف عملية تدبير الكرم من غرسهِ الى دوس العنب ومن استخراج العصير الى حفظهِ في اوعية وقد وجد زجاجات مكتوب عليها (إرب) التي معناها خمر وقد ثبت من الآثار حصول الجوع المذكور في التوراة على عهد يوسف (تك٤١)

وقد اظهرت الكتابات المصرية ان رعمسيس الكبير استخدم غرباء في بناء مدينته فارعمسيس وهذا يطابق خر ١ : ١١ وقد اظهر الرسم في احدى مدافن ثيبة اسم الاسرائيليين وعبوديتهم وتسخيرهم

ومن الشهادات الصامتة لصحة الكتاب قطعة من الرخام المعروفة بين علماء الآثار بالحجر الموابي اكتشفها القس اوغطس كلين (قس جرماني الاصل صرف مدة طويلة في فلسطين وصرف نحو عشر سنين هنا في القاهرة وكيلاً للارسالية الكنيسة الانكليزية وكان معروفاً بغزارة علمهِ واتقانه لغات متعددة) شرقي الارد داخل ارض موآب القديمة وتاريخ هذا الحجر ٨٩٠ ق.م وهو موجود الآن في متحف اللوفر بباريز وهو يحتوي على ثلاثين سطراً من

الفينقية تخبر عن حروب ميشع ملك موآب مع عمري ملك اسرائيل والارودميين كما هو مذكور في (٢٠ مل ٣) ويخبر عن اشياء أُخر دقيقة موافقة للكتاب المقدس ليس محل لذكرها

واكتشاف الكتابة السلوامية مؤخراً في اورشليم اثبت صحة ماجاء في (٢ اي ٣٢: ٣٠ و٢مل ٢٠:٢٠) وهو ان حزقيال سد مخرج مياه جيحون الاعلى واجراه تحت الارض الى الجهة الغربية من مدينة داود

وقد وجد في خرابات نينوى اسطوانة مكتوب عليها تاريخ حرب سرجون ملك اشور ٧٢٢ق.م.مع اشوري ملك اشدود عند ماكان حزقيال ملكاً (اش ٢٠:١) وهذه الاسطوانة موجودة الآن في لندن

وقد وُجدت اسطوانة مسدسة الشكل مكتوب عليها قصة حصار أورشليم بواسطة سنحاريب ملك أشور سنة ٧٠٥ ق . م . كما هو مذكور في (٢ مل ١٧:١٣ـ١٦) وهي الآن في لندن . ومن شاء التفصيل والزيادة في هذا الباب فليطالع كتاب « اصداء التوراة »

والحجة الدامغة ايضاً على صحة الكتاب هو نسخه القديمة المحفوظة للآن في مكاتب اوربا الشهيرة . وهذه النسخ كتبت على رقوق من الجلد باللغة اليونانية لغة الانجيل الاصلية وغيرها . ومنها ما يشتمل على التوراة والانجيل برمتهما ومنها ما يحتوي على بعض اسفار منهما وها انا اذكر لك بعضاً منها. (الاولى) النسخة المعروفة بالفاتيكانية موجودة للآن في قصر الفاتيكان في مدينة رومية وقد نسخت قبل الهجرة بمائتين وخمسين سنة.(الثانية) النسخة السينائية نسبة الى طور سيناء حيث وجدت اولاً وهي الآن في مدينة بطرسبورج في مكتبتها الملكية وهي تشتمل على التوراة والانجيل وقد نسخت

45

قبل الهجرة بمائتي سنة . (الثالثة) النسخة الاسكندرية وهي الآن في مدينة لندن في مكتبة دار التحف وقد نسخت قبل الهجرة بمائتي سنة وهي حاوية التوراة والانجيل . (الرابعة) الافرامية وهي الآن في المكتبة الملكية في باريس نسخت قبل الهجرة بمائة وخمسين سنة وهي تحتوى على الانجيل ويوجد الآن عند النصارى كثير من النسخ القديمة عدا ما ذكر بعضها كتب قبل الاسلام وبعضها في عصره وبعضها بعده لم نذكرها حباً بالاختصار . فاذا قابلنا النسخ المتداولة الآن بين اليهود والنصارى بلغات تزيد على ٣٠٠ بتلك النسخ القديمة نجدها مطابقة لها أشد المطابقة وهي مستعدة لفحص كل من يريد من علماء المسلمين قاطبة تنادي باعلى صوتها كل شاكٍّ في صحتها كي يحق الحق ويزهق الباطل

انتأخر أيها الاخ المسلم بعد هذه الشهادات الصامتة التي لا تجرح عن التصديق بصحة كتاب الله العزيز (التوراة والانجيل) أترجو الحصول على شهادات اعظم واوقع في النفس من هذه ارجو ان تطرح عنك التعصب جانباً وأبحث كعالم منطقي ترَ حقيقة الامر ظاهرة للعيان كالشمس لذى بصر

وليس يصحُّ في الاذهان شيء * اذا احتاج النهار الى دليل

البحث الثاني

﴿ في هل نسخ القرآن التوراة والانجيل ﴾

اذا كبا جواد العالم المسلم في ميدان المناظرة وخانه البرهان والدليل ولم يجد بدًّا من التسليم بسلامة التوراة والانجيل من التحريف والتبديل علاوة

عن انهما منزلان من عند الله الحكيم هدىً ونوراً للناس أجمعين عمد الى الدعوى بان القرآن قد نسخ التوراة والانجيل . ولكنها دعوى من غير بينة وافتراء عظيم لان القرآن نفسه لم يدّع هذا بل صرّح على رؤوس الملا بلسان عربيّ مبين انه نزل مصدقاً للتوراة والانجيل ومهيمناً عليهما كما ترى من الآيات التالية

(يابني اسرائيل ... آمنوا بما أنزلت مصدّقاً لما معكم) « سورة البقرة »

(مصدقاً لما بين يديه) « سورة البقرة »

(ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم) « سورة آل عمران »

(نزّل عليك الكتاب بالحقّ مصدقاً لما بين يديه) « سورة آل عمران »

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدقاً لما معكم) « سورة النساء »

(وما كان هذا القرآن ان يفتري من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب) « سورة يونس »

(وانزلنا اليك الكتاب بالحقّ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) « سورة المائدة »

(يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل) « سورة المائدة »

ان العاقل لا يقدم على دعوى الاّ اذا كان واثقاً من نفسه المقدرة على اثباتها بألف دليل ولكنّ بعض اخواننا المسلمين يقدمون على هذا الامر بدون تروّ . واذا قلنا لهم هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين جاؤنا بادلة واهية واهنة من مثل قولهم. ان الخلف ينسخ السلف وبعبارة اخرى ان القرآن نزل بعد التوراة والانجيل لذلك فهو ناسخ لهما . وبعضهم يقولون بما ان القرآن قد حوى التوراة والانجيل لذلك لم يعد من لزوم لهما وأراني غير

محتاج مع ذكاء القارئ الى افساد هذه البراهين الواهية وخصوصاً لان القرآن قد كفاني مؤونة هذا التعب لان الآيات السبع السالفة تصرّح صراحة لا تقبل التأويل ان القرآن نزل مصدقاً لصحة التوراة والانجيل ومثبتاً ومهيمناً اي رقيباً وحافظاً ولم يدَّع قط انه جاء ناسخاً لاحكامهما ولا يشتمّ رائحة هذا من كلامه بل نستفيد منهُ عكس ذلك لانه زيادة عن تصديقه وشهادته لهما كان يطلب من اليهود والنصارى علناً قائلاً (يا أهل الكتاب لستم على شيءٍ حتى تقيموا التوراة والانجيل) فلو كان أمر النسخ صحيحاً لما رأينا محمداً يحث اليهود والنصارى على اقامة حدود التوراة والانجيل ولما رأيناه يطلب من المسلمين ان يؤمنوا بهما . ولم يذكر القرآن قط انه حوى التوراة والانجيل كي يقول المسلم انه قد صار في غنى عنهما بل ان القرآن قد صرّح بعكس هذا كما ترى في سورة الشعراء « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسانٍ عربيّ مبين وانه لفي زُبرُ الاولين » فترى ان الآية تثبت ان التوراة والانجيل قد حوت القرآن « انهُ لفي زُبُر الاولين فما بال اصحابنا المسلمون يدعون ان للقرآن قد حواهما بدون دليل ان هذا ليس من شيم الباحثين

وهب ان القرآن ضرب صفحاً عن القول بتصديقه للتوراة والانجيل أفلا يستدل من سكوته انه قد نسخهما الا اذا جاهر بالقول الصراح انه نسخهما وانه لم يعد من حاجة اليهما . والحمد لله انه لم يفعل ذلك بل كثيراً ما كان يحاول اثبات صحة اقواله من موافقته لهما ووضع نفسه بازاءهما (فأتوا بكتاب هو اهدى منهما) وكثيراً ما كان يحاول اقناع العرب بصحة اقواله والحاجة الماسة اليه بقوله ان التوراة والانجيل قد نزلا بلغات اجنبية لقوم اجانب (ولكل قوم هاد) ولما كنتم ايها العرب لا تفهمون تلك اللغات انزل الله

القرآن من نوع تلك (التوراة والانجيل) بلغتكم بلسان عربي مبين (ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة وهذا كتاب مصدقٌ لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) « سورة الاحقاف »

ألا تزحزح هذه الآيات اعتقادك أيها المسلم بنسخ التوراة والانجيل ألم ترَ ان دعوى النسخ لا يقوم على صحتها دليل . هلاَّ تؤمن اذاً بثبوت احكامهما الى يوم الدين وتقيم حدودهما فتحصل على السعادة والخلاص الثمين

البحث الثالث

﴿ الجميع أخطأوا حتى الانبياء ﴾

خلق الانسان طاهراً يجر ذيول السعادة في جنة عدن بين الخمائل والرياحين ويمرح طرباً تحفه اجناد العطر والياسمين . وكان يتعلل بأثمار الجنة اليانعة . ويرتشف من صهباء انهارها الصافية . فقضى حيناً من الدهر باراً لا همَّ له الا رضى مولاه القدير . ولا شغل يلهيه عن عبادة خالقه البصير . اذ كان يسبحه في الاصال والاسحار . ويتغزل بمديحه ما عاقب الليل النهار . لكن الشيطان عمل على نكاله واضمر له السوء فغشه باقواله . واذ بغى آدم سعادة اسمى حسبما زيَّن له عدوُّ البشر عصى أمر ربه وأكل من ذاك الثمر . فزلت اذ ذاك به القدم وسقط من ذرى قداسته وحلت به النقم

وكأني به قد حصل له دخل في عقله فعمي عن الحقيقة واذ خانته البصيرة وغرّته الباصرة تهافت على سراب الآمال الوضاح . تهافت الفراش على نور المصباح . ولكنه رجع بصفقة المغبون التي لم يشهدها حاطب . وآدم هذا

43

كان نائباً عن ذريته فأخذ الله عليه العهد والميثاق فنكثه بمعصيته فنقضته ذريته لنيابته عنهم . وتولد في آدم الضعف والميل الى الخطيئة ولما كنا نحن للبشر ذريته ورثنا عنه هذا الضعف وذلك الميل حسب نواميس الوراثة . ولكننا لا نعاقب على خطيئته . وسقطنا في المعاصي مع علمنا ان الله نهى عنها وعملنا المنكرات فعلياً كما فعل هو . وما يدل على صحة هذا الحديث الآتي : فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فأكل الشجرة فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته اخرجهُ الترمذى وغيره وقال حديث حسن صحيح . والخلاصة ان نيابة آدم عن ذريته حقيقةً لا ريب فيها عند علماء المسلمين وقد كتب الشيخ محي الدين ابن العربي مقالة على هذا الحديث في الباب ٣٠٥ من كتابه

واذا كان آدم الذى خلقه الله طاهراً قد خالف أوامر مولاه فكم بالحري ذريته الضعيفة فالجميع اذاً اخطأوا واعوزهم مجد الله ورحمته

ان التاريخ والاختبار يعلمانا ان قلب الانسان شرير وقلوبنا توحي لنا « ان النفس لامارة بالسوء » فاذا وجدت لسد شهواتها سبيلاً ولجته ما لم يكن لها رادع من صانعها يردعها . فاننا مع علمنا بان الخطيئة او المنكر محرّم نخالف ضمائرنا ونطيع أميالنا الفاسدة ونفعلهُ . ألا ترى ان السكير مع علمهِ بضرر السكر صحياً ومادياً ودينياً يقدم عليه وهو منجذب بعوامل داخلية وهكذا الزاني والسارق والنمام

والاختبار الشخصي يعلمنا ان فينا أميالاً باطلة وشهوات منكرة ناتجة عن فساد طبيعي في الجنس البشرى تحارب ضمائرنا وأميالنا الصالحة وتسبينا الى عمل ما يخالف ارادة الله بارئنا .

ولا نعرف شخصاً الا ونحن قادرون ان نذكر له كثيراً من السيئات الكبيرة والصغيرة . ولم يدّع أحد الطهارة التامة من الناس اجمعين الا المسيح عيسى كما سيأتي هذا في محله .

ومما يدل على فساد الناس اجمعين الآية الآتية : (ان النفس لأمّارة بالسوء) « سورة يوسف » قال الرازي ان النفس لأمارة بالسوء أي ميالة الى القبائح راغبة في المعصية والطبيعة توّاقة الى اللذات . ولما كان الغالب انجذاب النفس الى العالم الجسداني وكان ميلها الى الصعود الى العالم الاعلى نادراً لا جرم حكم عليها بكونها امارة بالسوء انتهى كلام الرازي . ولا يخفى ان ال في كلمة (النفس) هي للجنس لذلك يجوز لنا ان نقول ان كل نفس امارة بالسوء اي كثيرة الامر بالسوء . والكلمة (الامارة) من صيغ المبالغة واللام فيها للتحقيق . اذاً الامر مؤكد ان النفس في كل انسان ميالة الى القبائح وشديدة الرغبة في المعاصي .

ومما يدل على ان الجميع اخطأوا الآية الآتية ايضاً : (وان منكم الاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذرُ الظالمين فيها جثِيّا) «سورة مريم » قال الرازي ولا يجوز ان يقال (ثم ننجي الخ) الاّ والكل واردون (النار) والاخبار المروية دالة على هذا القول . وعن جابر سئل عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله صلم يقول الورود الدخول لا يبقى برٌّ ولا فاجرٌ الاّ دخلها : وجلال الدين يفسر كلمة (واردها) بالدخول والاحتراق ويثبت هذا قول الرازي في تفسير آية (فمن ثقلت موازينه) (واما العاصي المؤمن فانه يعذَّب اياماً ثم يعفى عنه)

ألا يدل هذا دلالة واضحة على ان جميع الناس يرتكبون المعاصي فهم

من يعذَّب قليلاً ثم يعفى عنه ومنهم من يخلد في النار .

وما يدل على ان الجميع اخطأوا الآية الآتية ايضاً : (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيّضُ له شيطاناً فهو له قرين) « سورة الزخرف » ولما كان ذكر الله دائماً ليس في طاقة البشر فلا جرم ان الشيطان في جهاد دائم مع كل انسان ولما سئل محمد اي الجهاد افضل فقال جهادك هواك وسمي هذا الجهاد الاكبر . وورد ايضاً اعدى اعداءك اليك نفسك التي بين جنبيك . من هذا يرى فساد الطبيعة والشر الكامن في القلب والميل الى فعل الكبائر والصغائر

ويستدل ان الجميع أخطأوا من الآية التالية ايضاً :

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احدٍ ابداً ولكنَّ الله يزكي من يشاء) « سورة النور ٢١ »

المعنى بيّن ان الانسان فاسد خاطئ ولولا فضل الله ورحمته لما تزكى احدٌ مطلقاً . وقد عدّ المسلمون اعتبار الانسان نفسه سالماً من غضب الله من الكبائر . فها قد ثبت معنا بأدلة لا ترد ان الجميع اخطأوا لذلك هم يحتاجون الى ذبيحة المسيح للتكفير عن خطاياهم والا زجوا في جهنم لاتمام عدل الله . وبما انهم ورثوا الميل الى الخطيئة والضعف عن أبيهم آدم فهم محتاجون ايضاً الى الروح القدس روح الله لتقديس هذه القلوب ونزع هذا الميل الباطل شيئاً فشيئاً وتغيير الافكار الباطلة والحاسات الفاسدة . وهذا ما يعبر عنه الكتاب المقدس بالولادة الجديدة او الثانية

يعتقد النصارى استناداً على كتابهم ان جميع الناس اخطأوا وعم الفساد الجنس البشرى كله وبما ان الانبياء لم يكونوا من غير هذا الجنس فهم اذاً خاطئون . ويقولون ان الانبياء والرسل الذين اصطفاهم الله وأمرهم ان ينذروا

الناس ويبلغوا الرسالة عصمهم من الخطأ في تأدية الرسالة شفاهاً وكتابة وحفظهم من النسيان والزلل اذ كان يهديهم بروحه القدوس الى ما يجب ان يقولوه ويلقنهم ما يجب ان يبلغوه ولكنهم (الانبياء والرسل) غير معصومين في اعمالهم وتصرفاتهم الاعتيادية دلالة على ضعف الطبيعة البشرية واثباتاً ان العصمة والكمال لله وحده ذي القدرة والجلال .

والخطيئة صغيرة أو كبيرة تستحق غضب الله ونار الجحيم . فالقتل نوع والسرقة نوع آخر والشتم نوع آخر ولكن العقاب واحد عند الله لان كلاً منها مخالفة وعصيان . وهذا مؤيد بآيات كثيرة من التوراة والانجيل وقد ورد ما يثبت هذا في الحديث وهاك نصه : « من اقتطع حقّ امرءٍ بيمينه أوجب الله لهُ النار وحرم عليه الجنة . فقال رجل يا رسول الله وان كان شيئاً يسيراً قال وان كان قضيباً من أراك » ولنأتِ الآن الى خطايا الانبياء

قد اختلف المسلمون في عصمة الانبياء فمنهم من قال بعصمتهم من الخطايا مطلقاً ومنهم من قال بعصمتهم بعد سن البلوغ ونسب الخطأ اليهم في الصغر ومنهم من قال بعصمتهم في تبليغ الرسائل فقط وامكان ارتكاب الخطأ في ما سوى ذلك . والرأي الاخير هو ما يعتقدهُ الاستاذ الشهير الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كما ترى في عدد ٣٣٢٨ من جريدة المؤيد الصفحة الثانية والنهر التاني . مع ان القرآن يدلّ دلالة واضحة على ان اكثر الانبياء قد ارتكبوا المعاصى ليس الصغائر بل الكبائر حسب تعليمهم كما سترى

قال علماء المسلمين ان الخطيئة نوعان كبيرة وصغيرة وقالوا ان الله يغفر الصغائر دون الكبائر . والكبائر في عرفهم ١٧ (١) الكفر (٢) المداومة على ارتكاب الصغائر (٣) اليأس من رحمة الله (٤) اعتبار الانسان نفسه سالماً

41

من غضب الله (٥) شهادة الزور (٦) القذف بحق المسلم (٧) الحلف الكاذب (٨) السحر (٩) شرب المسكرات (١٠) اغتصاب مال الايتام (١١) الربا (١٢) الزنا (١٣) اللواط وما شابهه (١٤) السرقة (١٥) القتل (١٦) الهرب من وجه الكافر في الحرب (١٧) العصاوة على الوالدين

فكل مؤمن ارتكب احدى هذه الكبائر ولم يتب فلا بدّ من انه يكفر عنها في نار الجحيم وما سوى هذه الكبائر فهو من الصغائر

آدم اخطأ كما يستدل من سورة طه (وعصى آدم ربه فغوى) قال المفسرون عصى ربه بأكل الشجرة (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) «سورة البقرة» وقال البيضاوى فضلّ عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمورية او عن الرشد حيث اغترّ بقول العدوّ . وقد سلّم الرازى بخطيئة آدم لكنه قال انها حصلت قبل النبوة وقال انه عصى وغوى ولكن في اكل الشجرة وبما انه تاب عنها فلا تحسب عليه. ولكن الرازى لم يثبت لنا حصول الخطيئة قبل النبوة . ومن اين علم هذا . وقال ان آدم اذا تاب لم تحسب عليه الخطيئة ونحن نوافقه على هذا ولكن هذا لاينفي انه عصى وغوى

والعصيان من الكبائر بدليل قوله (ومن يعصي الله ورسوله فان له نار جهنم) «سورة الجن» . وقوله فتاب عليه وهدى «سورة طه» يدل على ان آدم عصى وتاب . والتوبة هى الندم على الخطيئة والاعتراف بها والعزم على عدم العود اليها . والتوبة لا تكون الاعن المعصية وآدم نفسه قد اعترف بمعصيته بقوله (قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين) «سورة الاعراف»

فهذا آدم من الانبياء اولي العزم قد اطاع الشيطان وصدقه وكذب المولى تعالى وطمع في الخلود فاخطأ وخطيئته هذه تعدّ من الكبائر . فصدق ايها الاخ المسلم بهذا ولا تكن من الممترين

نوح اخطأ كما يستدل من سورة نوح اذ قال (ولا تزد الظالمين الا ضلالاً) وقال بعدها (ربّ لاتذر على الارض من الكافرين ديّارا) ثم قال اذ تحقق انه أخطأ (ربّ اغفر لي) فطلب الاستغفار لا يكون الا عن شعور بارتكاب منكر ومهما حاول المفسرون ان يلطفوا العبارة فلا تخرج عما ذكرناه

ابرهيم اخطأ كما ورد في سورة الانعام (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفلَ قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكوننّ من القوم الضالين) وهذا حصل له اذ رأى الشمس . فاذا كان ابراهيم قال هذا وهو يعتقده فقد اشرك والا فقد كذّب وكلاهما من الكبائر

وكما ورد في سورة ابرهيم (ربنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) هنا طلب ابرهيم المغفرة صريحاً له ولوالديه وللمؤمنين

وكما ورد في سورة البقرة (واذ قال ابرهيم ربي ارني كيف تحيي الموتى قال أوَلم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)

هنا شكّ ابرهيم في قدرة الله والشك في قدرة الله من الكبائر وقد ورد في الحديث (نحن اولى بالشك من ابرهيم)

وفي سورة الانبياء (قال بل فعله كبيرهم هذا) كسّر ابرهيم الاصنام ولما سئل كذب وقال ان كبير الاصنام كسّر صغارها وعن ابي هريرة ان رسول الله قال لم يكذب ابرهيم الاّ ثلاث كذبات ثنتين منهنّ في ذات الله . قوله اني

40

سقيم وقولهُ فعله كبيرها وقولهُ ان سارة اختهُ حين اراد الجبار القرب منها . رواهُ البخارى ومسلم

موسى اخطأ كما ورد في سورة القصص (ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعتهِ وهذا من عدوه فاستغاث الذى من شيعتهِ على الذى من عدوه فوكزهُ موسى فقضى عليهِ قال هذا من عمل الشيطان انهُ عدوٌ مضل مبين قال رَبي اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر لهُ انهُ هو الغفور الرحيم)

وفي سورة الشعرآء (قال فعلتها اذاً وأنا من الضالين)

وفي سورة الاعراف (ولما رجع موسى الى قومهِ غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم امر ربكم والقى الالواح وأخذ برأس أخيه (هرون) يجره اليهِ ... قال ربي اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانتَ ارحم الراحمين)

يظهر من هذه الآيات ان موسى ارتكب القتل وشعر أن خطيئته من الكبائر فاعترف بها طالباً المغفرة . وكذلك اخطأ اذ غضب وطرح الالواح واهان أخاه ولما شعر بخطيئتهِ استغفر لنفسهِ ولاخيهِ . وأما خطيئة هرون فهي عمل العجل الذهبي لبني اسرائيل كي يعبدوهُ

يوسف اخطأ كما ورد في سورة يوسف عن يوسف وامرأة فوطيفار رئيس جيش فرعون (ولقد همّت به وهمَّ بها لولا ان رأى برهان ربهِ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشآء انهُ من عبادنا المخلصين) قال الجلالين هم بها قصد منها الجماع . والفخر الرازى قال : قال الواحدي في كتاب البسيط ان المفسرين الموثوق بعلمهم المرجوع الى روايتهم قالوا ان يوسف همَّ بهذه المرأة

هماً صحيحاً وجلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما رأى البرهان رجع . وما يثبت هذا قولهُ لنصرف عنهُ السوء والفحشاء

داود أخطأ كما ورد في سورة ص (وظن « تيقن » داود انما فتناهُ فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب فغفرنا لهُ ذلك وان لهُ عندنا لزلفى وحسن مآب) . أخطأ داود اذ ارتكب خطيئة القتل والزنا كما هو مذكور بالتفصيل في التوراة في سفر صموئيل الثاني ص ١١ و ١٢ ولكنهُ عند ما شعر بالجرم استغفر ربه فغفر لهُ وكل هذا صريح يغنيك عن اقوال المفسرين الطويلة المتضاربة .

والاحاديث المتعددة تثبت وقوع داود في الخطأ وتبين توبته العديمة المثال بنوحهِ الطويل والغفران الذي نالهُ كما ذكر أنس بن مالك وابن عباس ووهب بن منبه وغيرهم

سليمان أخطأ كما ورد في سورة ص ٢٩ - ٣٣ (اذ عُرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد فقال اني احببتُ حبَّ الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردّوها عليَّ فطفق مسحاً بالسوق والاعناق)

قد ذهب المفسرون مذاهب شتى في تفسير هذه الآيات وسردوا روايات عديدة لاثبات آرائهم كما ترى في الكشاف والرازي وغيرهما ولكن الخلاصة ان الخيل ألهتهُ عن ذكر الله والصلاة حتى قالوا انهُ ذبحها

وآية ٣٢ و ٣٣ (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم اناب قال ربي اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي) . كيف يطلب سليمان المغفرة ان لم يكن قد شعر بذنب

يونس (يونان) أخطأ كما ورد في سورة الصافات (وان يونس لمن

39

المرسلين اذ ابقَ الى الفلك المشحون فساهمَ فكان من المدحضين فالتقمهُ الحوت وهو مُليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) الفعل أبق يدل على ان يونس عصى ربه والغرابة انه عصاه حالة كونه (من المرسلين) ومما يثبت عصاوتهُ قوله (وهو مُليم) ومما يؤكد هذا قوله انه استحق لاجل عصاوته ان يبقى في بطن الحوت (الى يوم يبعثون) لولا انهُ كان من المسبحين اي طالبي المغفرة والا فما هو معنى التسبيح في هذا المقام

محمد اخطأ كما يستدل من سورة الفتح (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتمّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً) ومن سورة محمد (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)

ومن سورة المؤمن (واستغر لذنبك)

ومن سورة النساء (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيماً)

فالآية الاولى تدل على ان محمداً اذنب من قبل ادعاءه النبوة وانهُ سيذنب من بعدها واذا قيل كما قال الرازي والكشاف وغيرهما انهُ يستغفر لامته فالآية الثانية تدحض هذا وتبين ان المطلوب منهُ ان يستغفر لذنبهِ اولاً ولذنوب المؤمنين ذكوراً وإناثاً ايضاً

لو لم يعلم الله ان محمداً مال عن القضاء بالحق لما قال له (ولا تكن للخائنين خصيماً) ومما يثبت زيغانه عن الحق قوله (واستغفر الله)

يقول بعض العلماء المسلمين ان حسنات الابرار سيئات المقربين وان الرجل التقي اذا خالف الله مخالفة طفيفة يحسبها من الكبائر وكثيراً مايعدُّ ما ليس بذنبٍ ذنباً اذا فعله فيطلب المغفرة من اجله ويقولون هذا ماحصل

لمحمد ولكن قد فاتهم ان الله هو المتكلم القائل واستغفر (يا محمد) لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات . فهل يتوهم الله ما ليس بأثمٍ اثماً ويطلب من محمد ان يلتمس المغفرة . حاشا لله من هذ الوهم . فتأمل وانصف

ومن سورة الاحزاب (واذ تقولُ للذي انعم الله عليه وانعمتَ عليهِ أمسك عليك زوجك واتقِ الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاهُ فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهنّ وطراً) وتحرير الخبر ان محمداً اعتق زيداً عبده وتبناهُ بعد ان آمن وزوجهُ بشريفة اسمها زينب ولكن محمداً اظهر لها يوماً ما بعدئذٍ ميله اليها بقوله سبحان مقلب القلوب فذكرت زينب هذا لزوجها ففهم هو مراد محمد فاتاه كأنما من تلقاء نفسه وقال اريد ان افارق صاحبتي فتجاهل محمد وقال مالك ارابك منها شيء قال لا ولكن لشرفها تتعظم عليّ فقال لهُ محمد (أمسك عليك زوجك). (راجع ما قالهُ الكشاف صفحة ٢١٣ المجلد الثاني)

وكان في ذلك يخفي في نفسهِ ما الله مبديه ويحاول ان يظهر للناس انه لم يتزوج بامرأة زيد الا اطاعة لامر الله. فترى من الآيات ان محمداً اخطأ باخفاء ميله الى زينب وتظاهره بما ليس في قلبهِ لذلك وبخ بقولهِ (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) قال الرازي تفسيراً لهذه الآية «من انك تريد التزوج بزينب » لكن الرازي اعتذر لهُ بقولهِ انه كان يخشى الله ويخشى الناس فوبخه الله اذ قال والله احق ان تخشاه وحده . فمحمد اذاً اخطأ على هذا الوجه ايضاً وخشي من الذي لا يجب ان يخشاهُ

ومن سورة الاسراء (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً)

قال الرازي قال الزجاج ولولا ان ثبتناك اي على الحق بعصمتنا اياك لقد كدتَ تركن اليهم اي تميل اليهم شيئاً قليلاً اي ركوناً قليلاً . قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي « اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين »

ألا تدل هذه الآية على ان محمداً أخطأ او على الاقلّ أنه غير معصوم اذ قال « لا تكلني الى نفسي طرفة عين »

وورد في احاديث مسلم والبخاري قال محمد « ما منكم من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت يارسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمته » . وعن ابي هريرة قال سمعت الرسول يقول « اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة » وفي رواية اكثر من سبعين . وروي عن ابنة خالد وابي هريرة كان رسول الله يقول « اللهمَ اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار » . البخاري جزء اول

قد اتضح من هذا الفصل وضوح الصبح لذي عينين ان أبانا آدم قد سقط في المعصية وفسدت افكار قلبه وصار يميل الى الشر

واننا نحن ذريته قد ورثنا عنه طبيعياً هذا الفساد وذاك الميل الى الخطيئة . وقد ثبت لنا هذا ايضاً من الاختبار الشخصي

وها قد رأينا ان الانبياء العظام قد ارتكبوا المعاصي حتى محمد نبي المسلمين . لذلك احتاج الناس قاطبة الى مخلّص من العذاب المعدّ لمخالفي وصايا الله ومقترفي الآثام والى كفارة لا عيب فيها لفداء تلك الانفس واظهار عدل الله ورحمته . الامر الذي لا يتم الا بصلب يسوع المسيح وموته ذبيحة عن العالمين حتى ان كل من آمن به حق ايمان يغفر الله ذنوبه ويقدسه بروحه القدوس وينيله الحياة الابدية والسعادة الدائمة

ولست أدري لماذا يحاول اخواننا المسلمون ان يبرأوا الانبياء من وصمة الخطيئة خلافاً لما صرّحت به كل الكتب المعتبرة انها منزلة

وخصوصاً انه لم يدّع احد الانبياء قط هذه العصمة بل ان الجميع اقروا بالعجز والخطأ . ولستُ اعلم سرّ هذه المحاولة الاّ انهم يريدون ان تكون العقائد الدينية حسب آراءهم ومطلق فلسفتهم ولكن قد فاتهم ان الله قد أنزل الكتب ودوّن العقائد حسب حكمته الفائقة وَحسبَ حكمة الناس جهالة انه الحكيم باعماله العليم باحتياجات الناس

البحث الرابع

في صلب المسيح عيسى

﴿ تمهيد ﴾

قد صرحت الشريعة الغراء الاسلامية وكذلك الشريعة المدنية ان عقاب الخطيئة او الجُرم يكون عظيماً او زهيداً بالنسبة للشخص الذي نرتكب ضده ذلك الخطإ فاذا شتم التلميذ رفيقه في المدرسة يعاقب عقاباً جزئياً واذا شتم مدرّسه يطرد من المدرسة واذا شتم الرجل صاحبه يحسب جرمه مخالفة في عرف المتشرّعين واذا شتم الرجل الحاكم فله قصاص اعظم ولكنه اذا شتم السلطان الخليفة او الحاكم الاعظم فلا بدّ ان له عقاباً اعظم من الاولين . ولكنه اذا اخطأ ضد الله غير المتناهي في العظمة والقداسة فماذا يكون عقابه . لاشك انه يكون عذاباً اليماً غير متناهٍ ابديّ

ولما كان الله عادلاً فهو لا يترك مثقال ذرة لذلك وجب علينا ان نسلّم

ان كل الخاطئين ضد الله (وبالطبع ان كل الناس حتى الانبياء خطاة كما رأيت) لا بدّ ان يقيموا في النار مخالدين عقاباً لهم . فاذا تمّ هذا اين رحمة الله واذا رحم الله هؤلاء الخطاة وغفر لهم ولم يعذبهم فاين عدله . لذلك دبّر هو واسطة للتوفيق بين عدله ورحمته بصلب المسيح

الفصل الاول

ما القصد من الصلب

والجواب على هذا التوفيق بين عدل الله ورحمته واليك البيان . عصى آدم ربهُ فطرد من الجنة كما ورد في سورة البقرة واستحق الموت الأبدي وتولدت فيه الشهوات الرديئة وتأصل الميل فيه الى فعل المنكر فورث بنوهُ هذا الميل وساروا في خطة ابيهم فامتلأت الارض شرّاً وتحتم الهلاك على كل ذي بشر اتماماً لعدل الله اذ لم يكن لهم من سبيل لاصلاح هذا النقص والرجوع الى الحالة الاصلية . حال الطهارة والقداسة اللائقة بالجنّة التي لا يدخلها الاَّ المطهرون . والله لا يمكن ان يحيد عن القانون الذي سنه لانه عادل والعدل يقضي ان الخاطئ يموت وان الشريعة تجري مجراها وان كان المشترع لا يعمل بما سنه فقل على العدالة السلام

وكما ان الله عادل فهو رحيم ايضاً والعدل والرحمة من صفات الله الاساسية بيد انهما متناقضتان ولا يمكن اجتماعهما في غير الله ولا يمكن ان يجتمعا في الله الاَّ بواسطة الفداء الذي اكملهُ المسيح على الصليب

فالعدل لغوياً ضد الجور وما قام في النفوس انه مستقيم ويقال عدل القاضي عدلاً انصف وعَدْل القاضي يقوم بحكمهِ حسب الشريعة والاَّ فهو ظالم. والرحمة لغوياً رقة القلب وانعطاف يقضي التفضل والاحسان والمغفرة وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة

فمن هذين الحدين ترى صحة قولي السابق ان العدل يناقض الرحمة وهذه تناقض ذلك

فاذا عدل الله لا يكون رحيماً واذا رحم لا يعد عادلاً لانه اذا رحم القاضي القاتل وعفا عنه يخالف الشريعة القاتلة بقتل القاتل ويعد ظالماً. واذا عدل اي حكم على القاتل بالقتل لا يعدّ رحيماً بل عادلاً

ولما كان الله رحيماً احبّ ان يرحم الانسان ويخلصه من عذاب النار (ولكن بدون مخالفة العدل) لذلك دبَّر منذ البدء عمل الفداء وامر بني اسرائيل ان يشيروا الى هذا الامر بالذبائح الدموية التي مدار اكثر الشريعة الموسوية عليها . فقدم اولاد آدم الذبائح قبل نزول الشريعة كتابة وهكذا الذين بعدهم الى ان نزلت الشريعة على موسى الكليم ففصلت الامر تفصيلاً حيث ترى ان الله لكي يفهم الناس نجاسة الخطيئة وعقابها الاليم شرع يعلمهم كاطفال . فقسم الحيوانات الى طاهرة ونجسة وعلمهم ان بدون سفك دم لا تحصل مغفرة. لذلك أمر الخاطئ ان يقدم ذبيحة عن خطيئته من الحيوانات الطاهرة التي لا عيب فيها ويذبحها ويضعها على النار كي يتذكر ان الخاطئ يستحق الذبح والموت . ولكنه بواسطة الذبيحة الفِدْية ينال المغفرة وكل هذه الذبائح كانت تشير الى ذبيحة المسيح العظمى . لان الذبيحة بنفسها لا يمكن ان تفدي الانسان لانها لا تساويه قيمة . وكان الآباء الاقدمون يقدمون

36

الذبائح على هذا الايمان ولكن معرفتهم في هذا الامر كانت تزداد وضوحاً جيلاً بعد جيل وكلهم كانوا ينتظرون مجيء المسيح ليخلصهم من خطاياهم فعلياً وكلهم كانوا يؤمنون به وبذبيحتـه قبل مجيئه فنالوا الخلاص الذي تممه فعلياً المخلص بعدئذٍ لان وعده منذ البدء بالاتمام قبيل كأنهُ تمّ . كما اننا نحن نؤمن بالمسيح وبصلبـه الذي تمّ سابقاً وبه قد نلنا الخلاص . انظر عبرانيين ص١٠ : ٤ و ٥ ص ١١ : ١٣ وعبرانيين

ولما حان الزمان ارسل الله كلمته المسيح فلبس الجسد الانساني وصار انساناً مثلنا وشاركنا في امور كثيرة الا انهُ لم يرتكب ذنباً ولم يكن في فمه غش (انظر بحث عصمة المسيح) وهـذا الانسان المسيح قدّم نفسه على الصليب ضحية وفدية عن انفس البشر ووفى العدل الالهي حقه اذ قبل الله هذه الكفارة كأنها مساوية لانفس كل البشر ووفق بين عدل الله ورحمته وتمّ قول داود النبي (مز ٨٥ : ١١) « الرحمة والحق التقيا البر والسلام تلاثما » وحصل على هذا الخلاص كل من آمن بالمسيح مصلوباً ويحصـل عليه كل من يؤمن به هذا الايمان بشرط ان يسلك حسب اوامر الله ونواهيه المدونة في التوراة والانجيل . فالمسيح صلب كانسان وليس كإله كما يتوهم بعض اخواننا المسلمين لذلك يعترضون اعتراضات جمة ولكنهم قبل ان يفهموا معتقد المسيحيين في هذا الامر . واراني غير محتاج ان أبين تفصيلاً اعتبار الذبائح الدموية في الديانة الاسلامية كما هي في الاديان الاخر وانها واسطة للحصول على مغفرة الخطايا والقبول عنـد الله . والمسلمون قاطبـة يعلمون ان ذبحهم للخرفان في عيد النحر ليس لاجل الاكل بل يحسبونه كفارة بقصد الحصول على كرم الله وانعامه وكما ان الكبش الذي ضحّاه ابرهيم كان عوضاً عن ابنه

(وفديناه بذبح عظيم) « الصافات ١٠٥ » هكذا تعتبر كل ضحية عوضاً عن مقدمها وواسطة للحصول على العفو . ومحمد نفسه كان يعتبر دم الذبائح واسطة للتكفير عن الخطايا والعفو كما نعرف من الحديث الآتي قوله لابنته فاطمة (كوني حاضرة يا فاطمة عند رأس الذبيح عند الذبح لانه عند سقوط اول قطرة من دمه على الارض تغفر جميع خطاياكِ) واستناداً على حديث آخر يسند الى محمد ايضاً يعتقد المسلمون انهم سيركبون يوم الدين الذبائح التي قدموها في حياتهم ويعبرون الصراط المستقيم الى الجنة . وليست هذه الذبائح تساوي الانفس التي قدمت هي لاجلها بل الحيوانات باجمعها لا تساوي نفساً واحدة ناطقة كي تكون كافية للتكفير بل هي رمز الى ذبيحة وضحية المسيح العظمى التي ترى خبر تعيينها في التوراة وخبر تقديمها على الصليب في الانجيل. الذبيحة التي اعتبرها الله مساوية لانفس الناس اجمعين

الفصل الثاني

﴿ ألا يصلح غير المسيح لهذا العمل ﴾

لا يصلح غير المسيح لهذه المهمة لاسباب : الاول لان الذبيحة يجب ان تكون طاهرة لا عيب فيها . الثاني ان تكون ثمينة بهذا المقدار حتى تساوي الانفس المطلوب افتداها . الثالث ان تكون من نوع الانسان . الرابع ان يكون لها وجاهة عند الله ليصلح ان تكون حلقة الاتصال بين الله والناس واذا فحصت البشر طرّاً لا تجد من تنطبق عليه هذه الشروط الا المسيح وذلك لان الجميع اخطأوا حتى الانبياء واحتاجوا الى من يفديهم

35

وليس لاحد القيمة المطلوبة عند الله . وليس لاحد وجاهة اصلية كالمسيح كلمة الله كما يتضح لك ذلك في محله

الفصل الثالث

« هل قبل المسيح الصلب اختيارياً »

اذا سألت المسلم لماذا لاتصدق ان المسيح صلب فعلاً اجابك لانهُ نبي من الانبياء اولي العزم والله لايمكن ان يسلم نبيهُ الكريم ليد اليهود الاشرار كي يميتوه على الصليب شرّ ميتة ولكن المسلم نسي حظاً مما ذكر به في قرآنه ان الله قد سمح بمثل هذا كما جاء في سورة النساء « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق »

وفي سورة البقرة « فكلما جاءكم رسولٌ بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » حتى ان محمداً نفسه اقرَّ بانه مات بدس السم بخيانة امرأة يهودية كما ترى في تاريخ المغازي والسير لمحمد ابن اسحاق وفي الاحاديث . وزد على ذلك ان التوراة والزبور والانجيل قد صرَّحت ان صلب المسيح اختياري كما عين الله منذ البدء والمسيح نفسه قال صريحاً ان القصد من مجيئه اتمام عمل الفداء أي لكي يقدم نفسه ضحية على الصليب . ولما قال له احد الحواريين حاشاك يا رب من الصلب وبخهُ قائلاً انت تهتم بما للناس . ولما اراد ان يدافع عنه عند ما جاء اليهود ليمسكوه قال له « ردَّ سيفك الى مكانه اتظن اني لا أستطيع الآن ان اطلب الى ابي فيقدم لي اكثر من اثني

عشر جيشاً من الملائكة فكيف تكمل الكتب انه ينبغي هكذا أن يكون» (مت ٢٦ : ٥٢ ـ ٥٤)

يقول بعض اخواننا المسلمين كيف يعاقب الله المسيح بالصلب لاجل خطايا الاخرين . وقد ورد في (٢ مل ١٤ : ٦) « لا يقتل الآباء من اجل البنين والبنون لا يقتلون من اجل الآباء » قلت ان الله لم يحكم على المسيح بالقتل لاجل خطايا الناس بل ان المسيح حباً لنا تبرع وقدم نفسهُ عنا وهذا اقصى درجات الحب فاستحق التعظيم . نعم ان القاضي لا يحكم عليَّ بوفاء دين الآخرين ولكن اذا انا تبرعت بوفاء ذلك الدين فماذا له ان يقول

وقال المسيح لليهود عند ما مسكوه ليصلبوه « كل يوم كنت اجلس معكم اعلم في الهيكل ولم تمسكوني واما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الانبياء . والمسيح صلب ليس لانه ارتكب خطيئة لان اليهود لم يجدوا عليه علة واحدة من جهة آدابه واعماله بل ليقدم نفسه عنا ضحية وناب عنا في القصاص وأقام ذاته مقامنا فاذا حسب لعنة لاجلنا لا يكون هو مستحق ذلك بل لانه رضي ان يضع نفسه موضع الخاطىء الأثيم المستحق اللعنة . فترى مما تقدم ان الله يسمح بقتل انبياءه لمقاصد وان المسيح مات طوعاً باختياره حباً لنا كي يفدينا من لعنة الناموس ويفي العدل الالهي حقه وينيلنا الخلاص والحياة الأبدية لذلك لا يغفر الله للمؤمن ولا يرحمه الا بواسطة المسيح يسوع

هذه هي الطريقة الوحيدة التي عينها الله لخلاص المؤمنين التي بها يظهر عدل الله ورحمته معاً . واما الطريقة التي سنها الشرع الاسلامي فليست موفقة بين عدل الله ورحمتهِ وليس في القرآن ولا في الاحاديث تبيان شاف لكيفية الدينونة الحساب والغفران

34

واما الآيات التي يستند عليها اخواننا المسلمون في امر الدينونة فهي ما يأتي :

« وان تبدوا ما بأنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء (سورة البقرة)

« والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفَّت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم » (سورة الاعراف)

« ان الله لا يظلم مثقال ذرةٍ وان تكن حسنة يضاعفها) «سورة النساء»

« وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاهُ منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » (سورة الاسراء)

« ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين »(سورة هود)

فاذا حاسب الله الناس حسب الآية الاولى فلا مظهر لعدله ورحمته معاً نعم ان الله يفعل ما يريد. ولكنه لا يريد ما يخالف صفاتهُ الاصلية وشريعتهِ الالهية . افرض ان القاضي عفا عن قاتل اخيك بعد ثبوت الذنب وغفر له هل نحسبه عادلاً . كلاَّ . بل ظالماً لانه خالف الشريعة وهذا لا يمكن في الله لانه لا ينطبق على احكام الله وهو كذلك يخالف العقل السليم

والآية الثانية تبين ان طريقة الحساب طريقة بسيطة وهي حسب طريقة المصريين القدماء والمجوس وهي ان الله يضع حسنات المرء في كفة من الميزان والسيئات في الكفة الاخرى فاذا رجحت كفة الحسنات كان المرء من الفائزين بالنجاة . واذا رجحت كفة السيئات كان من الخاسرين وفي جهنم من الخالدين وهذا لا ينطبق على الحقيقة لان السماء او الجنة التي ترغب الانسان في الدخول اليها هي بقعة طاهرة لا يدخلها الاَّ المطهرون

المقدسون فالذي يصنع مئة حسنة ولكنه يصنع سيئة واحدة وقد اذنب وتجس ومن المستحيل ان يدخل الجنة وهو على تلك الحالة وها انا أضرب لك مثلاً على هذا لزيادة الايضاح

افرض ان مسلماً كان متشحاً بحلة بيضاء وبينما هو ذاهب للصلاة علقت بثوبه الابيض او بجسده النظيف قطرة من الاقذار ألا يعد نجساً؟ ألا يتوجب عليه وهو بتلك الحالة ان يعود فيتطهر كي يجوز له مباشرة الصلاة ؛ هذه هي حالة الانسان مع الله من جهة الطهارة والنجاسة لذلك لا تمكن المؤمن من الدخول الى الجنة قبل التطهير تماماً وتجديد القلب ايضاً لانه اذا طهر من الخطايا وغفرت له ذنوبه ولكن جرثومة الشر بقيت متأصلة في القلب يبقى شريراً وغير صالح للسماء . واذا كفر المسلم عن سيئاته في النار كما يعتقد هو « وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً » ولم يتغير قلبه واميالة الفاسدة فلا يصلح للجنة ولا تصلح لهُ . وهكذا عقاب السارق بالسجن او قطع اليد او جلد الزاني لا يغير اميال الاول للسرقة واميال الثاني للزنا . بل ربما زادهما العقاب شرًّا على شر « والنفس امّارة بالسوء » ولكن الدين المسيحي وبالاحرى الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) قد اعد طريقة لا اعتراض حقيقي عليها لانها تدبير الله . بها تمكن المؤمن من الحصول على الطهارة والمغفرة بواسطة ضحية المسيح ويحصل على التجديد او تغيير القلب بواسطة الروح القدس فيصبح المؤمن اذ ذاك لائقاً ان يدخل الجنة مسروراً بها

والاية الثالثة تطمع الشرير في الله لانها تبين ان الله يضاعف حسنات المرء وانت تعلم ان تضعيف الحسنات ليس بعدل

والآية الرابعة تبين ان لكل انسان كتاباً ينشر يوم القيامة فيقرأه

33

ويحاسب نفسه ولكن لم تبين طريقة الكتابة في الكتاب وكيف يحاسب الانسان نفسه وما هي القاعدة التي يجري عليها

والآية الخامسة تبين ان كل حسنة تذهب سيئة فاذا كانت الحسنات اكثر من السيئات نال المرء الخلاص والاّ فالهلاك محتم . وقال علماء المسلمين وليس لاحد ان يتظلم من ان الله لم يثبهُ على حسناته هذا اذا كانت سيئاته اكثر لان الاشرار يثابون على حسناتهم في الدنيا

وقالوا اذا انقضى الحساب ووزنت اعمال كل امرءٍ بميزان عدل شرعت الخلائق في المقاصّة اي المقابلة بالمثل فيستوفي كل فرد حقه من غريمه وينتصف كل مظلوم من ظالمهِ وهذا ما يسميه المسلمون بالخصومة ورد المظالم فتأخذ الملائكة من حسنات الظالم ما يساوي ظلمه ويضيفونه الى حسنات المظلوم فالذي يبقى من حسناته ولو مثقال ذرة يضاعفها له الله رحمة منهُ ليدخل الجنة. والذي تفنى حسناته ولم يزل عليه مظالم لم تردّ يطرح الله عليه من اوزار مظلوميه ما يساوي تلك المظالم ويلقيه في جهنم ليعاقب على اثمه واثمهم . والاخير ليس بعدل

ألا ترى ان كل هذه لا تفي بالغرض المطلوب الا وهي تطهير القلب من ادناس الخطيئة واستئصال جرثومة الاميال الباطلة منه كي يصير صالحاً لعشرة الله الطاهرة في السماء الطاهر كما بينا هذا سابقاً

ولا شك ان الطريقة التي دبرها الله وعينها في التوراة والانجيل لخلاص الانسان هي الطريقة المثلى فعلينا ان نتبعها تنال المغفرة وتطهير القلوب وندخل الجنة ونكون فيها خالدين

الفصل الرابع

﴿ صلب المسيح في القرآن ﴾

ان المسلم يعتقد ان الصلب قد حصل ولكنه ليس على المسيح بل على شخص آخر وقع شبه المسيح عليه بدليل قول القرآن في سورة النساء « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله » مع ان عبارة القرآن ملتبسة ومبهمة لا يبنى عليها حكم وكأني بالقرآن لم يرد ان ينفي الصلب قطعياً عن المسيح فقال مما رأيت

ومن الجائز ان تفسر آية القرآن على هذه الطريقة . « وما قتلوه وما صلبوه يقيناً » اي لم يقدروا على ايصال الاذى لنفسه . لان اليهود ظنوا انهم بصلبهم للمسيح قد ابادوا ذكره وجعلوا امره محتقراً بين الناس فالآية تبين ان اليهود لم يقدروا على هذا لان موته صار واسطة لاذاعة اسمه وتعظيم شأنه وان الصلب لم يؤذه لان الموت الجسدي ليس بإبادة او فناء . والمسيح وان مات فقد رفعه الله وكان هذا الموت سبباً لرفعه . ولايضاح هذا أضرب لك مثلاً . افرض انني اهنتك وشتمتك وحقرتك ولكنك كنت حليماً ولم تعاملني بالمثل ألا يجوز لك ان تقول لي انك لم تهني ولم تحقرني بل رفعتني وعظمتني في أعين الناس نظراً لحلمي وحقرت نفسك نظراً لسفاهتك والحقيقة ان الصلب ينسب الى الحاكم الروماني بيلاطس الآمر به وليس الى اليهود فتأمل

وقوله « شبّه لهم » مسند الى ما ذا فان جعلته مسنداً الى المسيح فهو

32

مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر لذلك ترى ان الاية غير صريحة . لو كان قصد الله ان يخلص المسيح من الموت على الصليب لكان خلصه بمعجزة ظاهرة باهرة من ايدي اليهود واظهر لهم عدم مقدرتهم على ايصال الاذى الى نبيه ورسوله ولكن المعجزة التي يتوهمها المسلمون لخلاص المسيح لم تفد الفائدة المطلوبة معما فيها من الغش الذي لا يصدر عن المولى لانها لم تظهر لليهود قدرة الله وعجزهم واذا كان الله رأى الصلب مخلاً بشرفهِ الاقدس أيُعقل انه عمل معجزة تظهر احتقاره فعلاً مع انه رفع المسيح اليهِ كي يتقي ذلك الاحتقار حسب اعتقاد جمهور المسلمين

وقد وُجد آيات في القرآن تبين تلميحاً ان لم يكن تصريحاً ان المسيح قد مات فعلاً وهي مفسرة لما أبهم من الآية السابقة كما ترى في سورة آل عمران « اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ » قال بعض المفسرين ان كلمة متوفيك معناها منومك ولكن لم يدرِ احد في العالمين الحكمة في التنويم قبل الرفع ولعلَّ الراسخين في العلم الاواخر يفيدوننا ما لم تستطعه الاوائل .

والحق ان معنى متوفيك مميتك وهذا مرويٌّ عن ابن عباس ومحمد بن اسحاق . واختلف في مدة الموت فقال وهب توفي (المسيح) ثلاث ساعات ثم رفع . وقال محمد بن اسحاق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعهُ . وقال الربيع بن أنس انهُ تعالى توفاهُ حين رفعهُ الى السماء . والامام البيضاوي يعتقد المسيح مات حقاً ثلاث ساعات قيل في قاموس اللغة « توفاه الله قبض روحه وتوفي فلان على المجهول قُبضت روحه ومات »

وقد وردت كلمة متوفيك ومايشتق من هذا الفعل بمعناها ثلاث وعشرين مرة في القرآن وكلها تدل على قبض الروح والموت مطلقاً الا في موضعين

حيث دلت القرينة على قبض الروح مجازاً في النوم «وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار» (سورة الانعام ٦٠) والثاني (في سورة الزمر ٤٣) «الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها»

قال بعض المفسرين ان الواو في جملة «متوفيك ورافعك» للتعقيب وليس للترتيب تضليلاً للعقول فيكون المعنى حسب رأيهم ان المسيح سيأتي ثانيةً فيموت. اللهم قنا شرّ المخاتلة. وما ضرّهم لو حسبوا ان الواو للتعقيب والترتيب معاً فيصح المعنى. لو كان قصد القرآن ما ارادوا لافصح عن هذا بعبارة لا تقبل الالتباس

وكما ترى في سورة مريم «وسلام عليه (الضمير راجع الى يحيي) يوم ولدتُ ويوم يموت ويوم يبعث حيا»

وفي سورة مريم ايضاً «والسلام عليَّ (عيسى) يوم ولدتُ ويوم أموت ويوم أبعثُ حيّاً»

لا خلاف ان المسلمين قاطبة يعتقدون ان يحيي (يوحنا) وُلد ومات بناء على الآية الاولى. فلماذا لا يعتقدون هذا في عيسى المسيح بناء على الآية الثانية لان ترتيب الآيتين واحد والالفاظ واحدة تقريباً والقرينة في الثانية لا تدل على غير ذلك

وكما ورد في سورة مريم «واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً» الزكاة شرعاً قدر معين من المال يخرجه الحرّ المسلم المكلف لله تعالى الى الفقير المسلم الغير الهاشمي ولا عبده مع قطع المنفعة عنه من كل وجه وفي الكليات كل ما في القرآن من زكاة فهو المال الا قوله «وحناناً من لدنا وزكاة» فان المراد به الطهارة

31

فاذا كان المسيح قد ارتفع الى السماء بدون ان يموت كما يعتقد جمهور اخواننا المسلمين فالواجب عليه ان يزكي طوعاً للوصية . وهل يوجد ياترى في السماء من فقراء المسلمين كي يعطيهم الزكاة . واذا كان المسيح لم يزل حياً في الارض فاين هو ومن هم الذين يتناولون منهُ الزكاة

واذا علمنا انه لا يوجد على الارض وانه لا يزكي نعلم انه قدمات حقيقة ولذلك قد انتفى عنه فرض الزكاة

وكما ورد في سورة المائدة « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلماذا توفيتني كنت انت الرقيب » قال الرازي والجلالين ان هذه الآية سيقولها المسيح عيسى لله يوم الحشر على الارجح ويفسر الرازي « توفيتني » بالرفع وقد سهى عليه أنه فسرها بالنوم في الآية « يا عيسى اني متوفيك ورافعك » فاذا جارينا الرازي وغيره من المفسرين على ان التوفي هنا بمعنى الرفع وان هذا الكلام سيحصل يوم الحساب الاخير تكون النتيجة ان المسيح لايموت ابداً وهذا مخـالف لنص القرآن الصريح « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (سورة الرحمن)

« كل شيء هالك الا وجهه » (سورة القصص »

ويكون هذا مخالفاً ايضاً لاعتقاد كثيرين من علماء المسلمين الذين يعتقدون ان المسيح مات حقاً ومخالفاً للذين يعتقدون منهم ان المسيح لا بد من ان يموت في هذا العالم قبل يوم الحشر . وما ضرهم لو اعتقدوا ان التوفي هنا بمعنى الموت وان هذا الكلام حصل قبل القرآن حسبما يفيد ظاهر الآية « واذ قال » التي تدل على المضي وليس على الاستقبال فتصير اذ ذاك الآية القرآنية موافقة للتوراة والانجيل واعتقاد النصارى في صلب المسيح وموته .

اللهمَّ ارِ الحق لطالبيه . وامنح النور لمريديه . انك خير من دُعي يا اكرم الاكرمين

الفصل الخامس

﴿ صلب المسيح تاريخيا ﴾

ان حادثة صلب المسيح ليست من مخترعات البشر والا لما رضي المسيحيون ان ينسبوا لرئيسهم ونبيهم ومخلصهم بل ربهم هذا الاحتقار العظيم لان شريعة موسى تقول « ملعون كل من علق على خشبة » وليس ان المسيحيين قد اعترفوا بحصول الصلب فقط بل حسبوه بافتخار مصدر خيراتهم وبركاتهم السماوية وينبوع الخلاص العميم . ليس لهم فقط بل لكل من آمن بالمسيح المصلوب وبالفداء الذي حصلهُ للخطاة بموتهِ الشهير . ويلوح لي اذ اباحث اخي المسلم ان قضية صلب المسيح هي حادثة تاريخية من بعض الاوجه لذلك اردت ان ابحث فيها الآن بحثاً تاريخياً فاقول

ان الانبياء الاقدمين داود واشعيا ودانيال وغيرهم تنبأوا عن كل ظرف من ظروف حياة المسيح وخصوصاً عن صلبه وموته قبل حصوله باكثر من الف وخمسين سنة بل بعضهم قد عين مكان صلب المسيح وزمن حدوثه وذكروا علامات منها طبيعية ككسوف الشمس والزلازل ومنها تاريخية كابطال الذبيحة نهائياً لانها كانت تشير الى ذبيحة المسيح العظمية وكزوال الملك نهائياً من يد اليهود

ولما جاء المسيح اعلن صريحاً لليهود ان المكتوب عنه في ناموسهم من

30

جهة الموت لا بدَّ ان يتم وانه لا بدَّ ان يصلب للكفارة عن خطايا الناس . والحواريون بعده كانوا يفتخرون بهذا الصلب حتى ان احدهم قال « قد عزمتُ ان لا أعرف بينكم شيئاً الا يسوع المسيح واياه مصلوباً » واحدهم قام خطيباً » بُعَيد صلب المسيح بايام قليلة بين جمهور عظيم من اليهود وقال لهم « بأيد اثمة صلبتموهُ » وكان نتيجة خطبتهِ ان آمن من الحاضرين بذاك المصلوب نحو ثلاثة آلاف نفس

وكان صلب المسيح موضوع تبشير الحواريين والرسل ومحور كل خطبهم والامر الوحيد الذي يرجع اليهِ في طلب مغفرة الخطايا . وكانوا يقولون حاشا لنا ان نفتخر الا بصليب ربنا ومخلصنا يسوع المسيح مع تلقيب الناس لهم بتابعي المصلوب . والكنيسة المسيحية قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل بالتواتر كانت تعتبر صلب المسيح كما كان يعتبره الحواريون . وذلك لانه ليس شيءٌ في التوراة والانجيل اصرح من هذه القضية الى ان ظهر صاحب الرسالة الاسلامية

ويوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير قد اشار في تاريخه الى صلب المسيح قائلاً « ان بيلاطس حكم على المسيح بالصلب بطلب رؤساء الكهنة بيننا والذين احبوا المسيح اولاً لم يتركوهُ وهم باقون للآن يُدعون مسيحيين نسبة اليه » حتى ان اليهود ليومنا هذا يعترفون بصلب المسيح . والقرآن نفسه يشهد بان اليهود يؤكدون انهم قتلوا المسيح في سورة النساء « وقولهم إِنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » وقد كتب الحاخام يوحنان بن زكا تلميذ هلل الشهير كتاباً في العبرانية منذ زمن قديم ذكر فيه حكم اليهود على المسيح بالصلب لادعاءه انه ابن الله وانهم علقوا يسوع على شجرة خارج

اورشليم حسب أمر الملك ورؤساء اليهود . وكتاب التلمود قد ذكر بالعرض صلب يسوع المسيح وتاستوس المؤرخ الوثني ذكر في الفصل الخامس عشر من مؤلفه المكتوب بعد المسيح بنحو اربعين سنة ان المسيح قتل بامر بيلاطس البنطي الوالي في ايام حكم طيبيروس

وهذا المؤرخ كتب لاناس كانوا من معاصري المسيح وربما بعضهم شاهد عياناً موت المسيح . وكان لهذا المؤرخ واسطة للوصول الى سجلات الحكومة الرومانية حيث كانت اخبار الحكام الرومانيين الرسمية تحفظ ومن ضمنها اخبار حكام فلسطين حيث صلب المسيح . ولذلك كان لكتابات هذا المؤرخ في هذا الموضوع اعتبار عظيم بالنظر لعلاقتها بالاخبار الرسمية والحقائق المعروفة عند العموم

والامر المهم هو ان تقرير بيلاطس البنطي الذي قدمه الى رومية عن صلب المسيح وموته كان محفوظاً في سجلات رومية حسب عوائد الممالك التي نالت حظاً من الحضارة . ومن ذلك التقرير الرسمي استقى المؤرخ تاستوس علاوة على الاخبار العامة

وقد اشار الى هذا التقرير ڤلاڤيوس جوستينوس الفيلسوف عندما خاطب الامبراطور انطونينوس بيوس سنة ١٣٩ م

وقد اشار الى هذا التقرير بعينهِ العالم ترتوليانوس من قرطاجنة سنة ١٩٩م .

وهكذا ترى ان حادثة صلب المسيح كانت امراً مقرراً وحادثة مشهورة ومعروفة بين الوثنيين واليهود والنصاري ليس بين العامة فقط بل الخاصة ايضاً مدة نحو ٦٠٠ سنة الى ان جاء القرآن فانكر صلب المسيح فعلاً انكاراً

29

غير صريح بكلام مبهم وآيات متناقضة اوقعت كثيرين من المسلمين في حيرة من هذا القبيل حتى انكرها بعضهم بتاتاً وصدقها آخرون كما رأيت في فصل سبق

فافرض الآن ايها القارئ النبيه ان خمسين رجلاً من الشهود العدول شهدوا صريحاً (بعضهم شهادة عين و بعضهم بالتواتر) ان زيداً قتل عمراً . والشهود العين لهم معرفة شخصية تامة بالقاتل والمقتول . وافرض ان الجانين القاتلين اعترفوا بفعلتهم الشنعاء علناً فصار الاعتقاد عاماً والامر حقيقة لا ريب فيها ان زيداً قتل عمراً مدة نحو ستمائة سنة . ولكن بعد هذه المدة الطويلة تمثل امام القاضي شاهد نفي وبالطبع ليس بشاهدعين. وافرض انه شاهد عدل وقال انا اشهد ان حادثة القتل حصلت ولكن المقتول هو بكر وليس عمراً . فماذا تظن أيحكم القاضي بصحة مقتل عمر . اويحكم ان المقتول هو بكر استناداً على الشهادة الاخيرة الفردة . لا مشاحة ان القاضي العادل يحكم بصحة مقتل عمر استناداً على الشهادات العديدة واقرار القاتلين . ومن يحكم بخلاف هـذا يكون من الذين لا دراية لهم بالقوانين الشرعية والمدنية وليس في رأسه ذرة من العدل

لا حاجة لي أن أنبهك ان هذا المثل هو قضية على صلب المسيح وهو ينطبق عليها من كل الاوجه فتأمل

ماذا تقول بعد كل هذا أيها الاخ المسلم الباحث عن الحقيقة . انصح لك ان تترك الميل المذهبي جانباً وتحكم في هذه القضية كحرّ حسب العدل ومعارفك العقلية فتجد ان القضية بسيطة لا تحتاج الى كل هذا العناء. وتحكم ان المسيح عيسى قُتل وصُلب لفداء العالمين . لكنه قام من بين الاموات

وارتفع الى السماء ظافراً ولن يسود عليه الموت بعد

راجع كتاب « اثبات صلب المسيح »

البحث الخامس

﴿ في عصمة المسيح ولاهوته وبنوّته ﴾

انا معشر النصارى نعتقد حسبما اعلن الله في كتابه الكريم ان يسوع المسيح معصوم من الخطأ وذلك لانه ليس من زرع البشر الذين اخطأوا وفسدوا كما اثبتت هذه الكتب المعتبرة انها منزلة

ونعتقد ان المسيح اله وانسان معاً وهذا ليس على الله بمستحيل. وتبياناً لهذا على وجه التمثيل نقول : ان الله الواحد الاحد تجلى على الانسان يسوع المسيح او حلّ فيه حلوله في عليقة موسى كما ورد في سورة طه « اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدًى فلما أتاها نودي ياموسى اني انا ربك » حلولاً من غير حصر « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة » (سورة النور) وكلمنا من وراء حجاب. وبعبارة أخرى ان الله لبس الجسد من غير حصر وظهر للبشر لذلك صحّ ان يسمى المسيح الهاً وانساناً معاً. فليس الانسان الهاً بل الاله اله والانسان انسان وليس الهان كما يتوهم المسلم في هذا فالمسيح بقوته الالهية عمل المعجزات والاشياء الخارقة بخلاف الانبياء لانهم عملوا المعجزات بقدرة الله لا بقدرتهم . وبناسوته كان يأكل ويشرب وينام كاحد افراد الناس وكان طوراً يتكلم عن نفسه كاله وتارة كانسان وما ذلك الا لانه اله وانسان كما

سبق . وقد شك اخواننا المسلمون و بعض النصارى في لاهوت المسيح وذلك لانهم رأوا آيات كثيرة في الكتاب تدل على انهُ انسان ولكنهم لو راجعوا الآيات الكثيرة الدالة على لاهوته ايضاً بامعان لانقشعت عن أعينهم غيوم الشك

واما ان كان هذا ممكناً اولا فلاحق لي ان ابحث عنه لانه بحث عن ذات الله والبحث عن ذات الله اشراك عدا انه فوق مدارك العقل (راجع التثليث)

والمسيح كانسان بعد ان عاش كانسان مدة على الارض صلب ومات وقام ولكن الصلب والموت وقعا على الناسوت المادي وليس على اللاهوت الذي لا تؤثر فيه الاعراض

والمسيح معصوم من الخطأ كما سلف وقد ورد في سورة آل عمران ما يثبت هذا « وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله يقول ما من بني آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من نخسه اياه الا مريم وابنها وللبخاري عنهُ قال كل ابن آدم يطعنه الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب (الشيطان) ليطعن فطعن في الحجاب اي لم يمسهُ بشيء

واما لاهوت المسيح فواضح غاية الوضوح في التوراة والانجيل من النبوات ومن كلام المسيح نفسه ومن تعليم الرسل ومن الآية التالية الواردة في سورة آل عمران « يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منهُ اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين » اذا ادعى المفسرون ان المقصود « بكلمة » هو الامر (كن) او النطق في غير هذه الآية فلا سبيل

لهم ان يدعوا هذا في الآية الحاضرة لان قوله « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى » يدل على ان الكلمة هي ذات وليس نطقاً او امراً كما يتضح عند ادنى تأمل وكأنه يقول بذات منه . لاحظ ان الضمير في (اسمه) مذكر راجع الى (بكلمة) التي هي مؤنثة لفظاً ولكنها مذكرة معنىً والاّ لما جاز هذا في اللغة

يقول علماء الاسلام ان كل مخلوقات الله تسمى كلمات الله لانها خلقت بكلمة . قلت ان هذا باطل والاّ لجاز ان نسمى الاثر المؤثر والكتاب قلماً لان القلم هو الواسطة او الآلة التي كتبت بها الكتاب وليس الكتاب . فاذا خلق الله عيسى المسيح بكلمة بامر (كن) حسب زعمهم لا يمكن ان يسمى كلمة لانه ليس هو الكلمة بل مفعول الكلمة (الامر) واذا ألفتُ كتاباً بعقلي لا يسمى الكتاب عقلا (او عقلي) بل مفعول العقل والاّ لاختلط الحق بالباطل اختلاط الحابل بالنابل واختلطت الجواهر بالاعراض

وواضح من آيات أخر تدل على ان المسيح روح الله وأنت تعلم ان كل ما في الله فهو الله فكلمة هو الله ازلي ابدي وروح الله هو الله ابدي ازلي وهذا يوافق تماماً ما ورد في اول انجيل يوحنا « في البدء كان الكلمة ... وكان الكلمة الله »

وواضح من آية اخرى « ويخلق من الطين كهيئة الطير » كما سترى كل هذا في البحث عن امتياز المسيح فراجعهُ في محلهِ . واما ان المسيح ابن الله فممكن وغير كفر قال الحديث عن لسان الله « الفقراء عيالي » وغير مستحيل بدليل قوله في سورة الزمر « لو اراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلقُ ما يشاء » فلا عجب اذا دعى الكتاب المسيح ابن الله والمسيح ابن الله

27

ليس بطريق التناسل كما يظن جهلاء المسلمين لان الابن لغة لا يطلق فقط على الابن الذكر على طريق التناسل بل يكنى به في بعض الاشياء عن الصاحب كابن عرس وابن ماء على الاستعارة والتشبيه ويقال أيضاً لكل ما يحصل من جهة شيء او تربيته او كثرة خدمته او قيامه بامره او توجهه اليه او اقامته عليه هو ابنه كما يقال ابناء العلم وابناء الدنيا وابناء السبيل ويقال أيضاً ان فلاناً ابن فلان على طريق التبني فبنوة المسيح اذاً جائزة على هذا النحو وقد دعى الله المؤمنين ابناء لكنه قال ان المسيح ابنه الوحيد أي ان هذه البنوة مغايرة لتلك ونحن لا نفهم ما هي تلك البنوة تماماً لانها بعيدة عن الادراك وكما ان المسيح دعي ابن الله ترفيعاً له عن البشر من جهة لاهوته قد دعي ابن الانسان تبياناً لناسوته وانه هو المقصود في نبوة دانيال ٧ : ١٣ و ١٤ وكلاهما يدلاّن على ان المسيح اله وانسان معاً سرّ عجيب الله ظهر في الجسد ١ تي ٣ : ١٦ . والكلمة كان الله . والكلمة (الله) صار جسداً وحل بيننا يوحنا ص ١

وقد ذكرت في التوراة والزبور والانجيل والقرآن خطايا الانبياء واحداً فواحداً تقريباً وذكر فساد الجنس البشري باجمعه كما رأيت ولكن لم يذكر احدٌ من هذه الكتب خطيئة ما ليسوع المسيح بل انها أشهرت قداستهُ وطهارته على رؤوس الملا وعصمتهُ من الخطأ وجعلته فريداً وحيداً بين البشر من هذا القبيل كما سترى في بحث امتياز المسيح

ولم يتجرأ نبي من الانبياء الكرام أو رسول من الرسل العظام ان يدعي لنفسه العصمة لان العصمة في البشر محال وما العصمة الاَّ لله وحده والكمال. اما المسيح يسوع الذي فاق الجميع بلاهوته وناسوته وكان له الثقة التامة بكماله وطهارته فقد جاهر بالقول الصراح قائلاً « من منكم يبكتني على خطية »

(يوحنا٨: ٤٦) « لان رئيس هذا العالم (الشيطان) يأتي وليس له في شيء » (يوحنا١٤: ٣٠) والشهادات متعددة في الكتاب على عصمته حتى ان اعداءه لم يجدوا عليه علةً من جهة سلوكه واما التهم التي اتهموهُ بها فهي ما يأتي

انه قال عن نفسه انه ابن الله وانه معادل لله وانه ملك اليهود وانه يهدم الهيكل ويقيمه في ثلاثة ايام ولكن بيلاطس الوالي فحص دعاوي اليهود واعلن انه لم يجد علة واحدة في المسيح للموت يو ١٨: ٣٨ و١٩: ٤ و٦ وامرأة بيلاطس بعثت فقالت لزوجها في اثناء المحاكمة « اياك وذلك البارّ » (مت ٢٧: ١٩) وبعد ذلك غسل بيلاطس يديه قائلاً « اني بريء من دم هذا البار » (مت ٢٧ : ٢٤) ولكن اليهود قالوا دمه علينا وعلى أولادنا واذ ذاك أُسلم المسيح للصلب فصلب. وسيرة حياة المسيح كلها السنة ناطقة بطهارتهِ التامة ونزاهتهِ وعصمتهِ بخلاف سير بقية البشر والانبياء والرسل المشحونة من الخطأ والزيغان والظلم وفساد القلب

وطهارة المسيح هذه وعصمته لازمة كما رأيت لكي يكون صالحاً لتقديم نفسه كفارة وذبيحة طاهرة لا عيب فيها عن انفس البشر الخاطئين

البحث السادس

﴿ في امتياز المسيح في القرآن على الانبياء والبشر كافة ﴾

قد اشترك الانبياء والمرسلون في اسماء كثيرة وافعال متعددة ولكن المسيح قد امتاز على الجميع ولنذكر الآن ما ورد من هذا في القرآن

(١) انه كلمة الله وروحه كما ورد في سورة النساء (انما المسيح عيسى بن

مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه)

وفي سورة آل عمران (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين)

قل لي بعيشك لمن من الانبياء او من البشر قيل في القرآن انه كلمة الله وروحه

قد دعى الله البعض رسلاً والبعض انبياء والبعض منذرين والبعض مبشرين الى غير ذلك ولكن كل هذه احط من (كلمة الله) و (روح الله) اللتين دعي بهما يسوع المسيح فهو لا شك اذاً اعظم من الجميع ولا سيما ان الروح اعظم من الرسول لان روحك هي ذاتك واما رسولك فهو غير ذلك

قال الرازي والجلالين وغيرهما من المفسرين ان المسيح دُعي كلمة الله لانهُ خُلق بكلمةٍ بامرٍ بدون أبٍ لذلك نُسب الى الكلمة ولكننا نسألهُ اذا كان ذلك كذلك فلماذا لم يُدع آدم الذي خُلِق بكلمةٍ بامرٍ كلمة الله وروحاً منهُ

ألا تستدعي هذه التسمية المسلم العالم الى البحث عن «كلمة» و «روح» في الآيتين السالفتين اللتين تلمحان اذا لم نقل انهما تصرحان بعلوّ شأن المسيح ولاهوتهِ المقدس

(٢) انهُ يخلق كما ورد في سورة آل عمران « اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيهِ فيكون طيراً باذن الله »

قد سمح الله للخلق ان يشاركوهُ في صفات عديدة كالكرم والعدل والرحمة والاحسان الى غير ذلك واعطى انبياءهُ القوة على عمل المعجزات الخارقة العادة والتنبؤ بالامور المستقبلة قبل حدوثها لافادة الناس وبرهاناً على

صحة رسالتهم العلوية ولكنهُ حفظ لنفسهِ اموراً ولم يشرك فيها احداً

الاول - الحضور في كل مكان (حضوراً غير مدرك وغير محدود)

وذلك لكي يحيط علماً بكل شيء ويسمع نداء كل حيّ من كل انحاء المعمور ولو بوقت واحد ولكن المخلوق لا يمكن ان يكون حاضراً في كل مكان في وقت واحد لانهُ مادة والمادة لا تشغل الاّ حيزاً واحداً في وقت واحد . والروح وان تكن غير مادة فهي محدودة ولا يمكن ان تكون حاضرة في كل مكان في وقت واحد والخلاصة انهُ لا يمكن للانسان او الملاك ان يحضر في كل مكان في وقت واحد لئلاّ يصير الهاً وهذا باطل

الثاني - القدرة على كل شيء قدرة اصلية لا مكتسبة . قد فعل الانبياء الاعمال الباهرة والمعجزات القاهرة التي لا يقدر على عملها البشر ولكن بقوة الله بقوة مكتسبة لا قوة اصلية لان الله وحدهُ هو علة العلل ومصدر كل قوة فاذا صار لاحد قوة اصلية صار مماثلاً لله وهذا باطل بالبداهة

الثالث - الخلق وايجاد الروح - الخلق هو الابداع او ايجاد شيء من لا شيء وفي قاموس اللغة هو ايجاد او ابداع شيء على غير مثال سبق

فالله تعالى قد اعطى القدرة للانبياء والرسل على اقامة الموتى وابراء الاكمه وشفاء الامراض على تعدادها والتنبؤ بالامور المستقبلة قبل حدوثها ولكنه لم يسمح لاحد قط بالقدرة على الخلق واعطاء الروح الاّ ليسوع المسيح . لماذا . ليس الاّ لان المسيح اعظم من الانبياء والرسل ولهُ منزلة اخرى لمن منهم قيل عنهُ في القرآن انه خلق ولو باذن ربهِ . لم يقل لاحد كما يثبت لكل مطلع على القرآن

ومن الآية السابقة ترى ان القرآن اثبت ان المسيح كان يخلق الطيور

25

على الطريقة التي خلق الله آدم بها اذ جبله من تراب الارض ونفخ فيه روح حياة فصار ذا نفس حية . فتأمل واحكم

(٣) ولادتهُ العجيبة كما ورد في سورة النساء « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمتهُ القاها الى مريم وروح منه »

اي ان المسيح وُلد بدون اب بالروح القدس بطريقة خارقة العادة نعم ان آدم وُجد بدون اب ولكن عن اضطرار اذ لم يكن من بشر قبله واما ولادة المسيح بدون اب فلم تكن عن اضطرار بل عن قصد من الله آيةً للعالمين : « وجعلناها وابنها آية للعالمين » (سورة الانبياء) : « ولنجعلهُ آيةً للناس » ألا تستلفت ولادة المسيح الغريبة انظار المسلم الصادق وتحمله على الاعتقاد ان المسيح عيسى لم يكن لهُ مثيل بين الورى وان لهُ الدرجات العلى

(٤) الوجاهة في الدنيا والآخرة كما ورد في سورة آل عمران « اذ قالت الملائكة يا مريمُ ان الله يبشرك بكلمةٍ منهُ اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين »

قال الكشاف : « الوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلوّ الدرجة في الجنة » وقال بمعنى ذلك تماماً الرازي وجلال الدين السيوطي واما وجاهة موسى في سورة الاحزاب « وكان عند الله وجيهاً » ففسرها الرازي بالمعرفة وقد قال الرازي تفسيراً لجملة «ومن المقربين» ما يأتي — ليس كل وجيه يكون مقرباً لان اهل الجنة على منازل ودرجات ولذلك قال تعالى وكنتم ازواجاً ثلثة الى قوله والسابقون السابقون أولئك المقرّبون

ان من درس القرآن يعلم انه لم يوصف احداً بالوجاهة في الدنيا والآخرة الا المسيح عيسى ولم ينل احدٌ من الانبياء والمرسلين هذا الامتياز سواه .

فتش وانظر و بعدذلك قل لي لماذا . والخص عن السبب تَرَ العجب

(٥) عدم ذكر خطيئة لهُ راجع عصمة المسيح وجه ٥٦

(٦) رفعهُ الى السماء كما ورد في سورة آل عمران «اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ ومطهرك من الذين كفروا»

اننا قد شرحنا التوفي في الذي سلف فلا حاجة لاعادته انما القصد ان نبين معنى الرفع . قال الرازي ان المراد بالرفع الرفع الى محل كرامة الله وجعل ذلك رفعاً اليهِ للتفخيم والتعظيم والمراد « بمطهرك » مخرجك من بين الذين كفروا . وكما عظم شأنه بلفظ الرفع اليهِ اخبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير وكل ذلك يدل على المبالغة في اعلاء شأنه وتعظيم منصبه عند الله تعالى . انتهى

وقال الكشاف تفسيراً « لرافعك اليَّ » رافعك الى سمائي ومقرّ ملائكتي . ولما لم نجد في القرآن من عظمهُ الله بالرفع نظير المسيح عيسى نحكم انه قد نال مرتبة لم ينلها غيرهُ من قبل

ألا يستدعي هذا الامتياز اعمال الفكر لمعرفة السبب :

فاذا اردت الجواب مني ايها القارئ الكريم عن السبب اجبتك بآية من الانجيل الذي افصح عن ذلك باجلى بيان « وليس باحد غيرهُ الخلاص لان ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص » (اع ٤ : ١٢)

24

البحث السابع

﴿ التثليث في الوحدانية ﴾

لكي يكون القارئ على بينة من اعتقاد المسيحيين في وحدة الله والتثليث ادوّن له هنا العقيدة الاولى من عقائد الدين المسيحي بحروفها وهاكها

«ليس اله غير الله الواحد الحي الحق الازليّ الابديّ المنزه عن الجسم والاجزاء والانفعال ذو قدرة وحكمة وصلاح لا نهاية لها خالق وحافظ كل شيء منظور وغير منظور وفي وحدة هذا اللاهوت ثلثة اقانيم بجوهر واحد وقدرة واحدة وازلية واحدة اي الآب والابن والروح القدس»

ان هذه العقيدة مثبتة بآيات صريحة من التوراة والانجيل ليس محل هنا لذكرها . لذلك ليست هي من اختراعات المسيحيين . واما ان كانت مدركة اولا . او ان كانت تقبل البحث المنطقي اولا فالجواب عليه تراهُ فيما يلي

ليست مدركة لانها فوق مدارك الآدميين ولكنها حقيقة وقضية مسلمة ولو لم يدركها جمهور الباحثين ولا تقبل البحث المنطقي لانها بحث عن ماهية الله «والبحث عن ذات الله كفر» كما ورد في الاحاديث وكما يعترف بهذا كل من آمن بالله واليوم الآخر

لست احاول الآن ان أفسر عقيدة لم يستطع تفسيرها الاوائل ولن يتوصل الى ادراك كنهها الاواخر لانها بحث عن ماهية الله موجد الكائنات . والعلماء قاطبة لا يدركون سرّ ادنى هذه الكائنات فانى لهم ان يدركوا ماهية الموجد الاول الخالق . ولكنني اريد ان اثبت اولاً اننا يجب ان نسلم بهذه

العقيدة تسليماً ونؤمن بحقيقتها ايماناً ولولم تدركها عقولنا وذلك لانها وردت بتفاصيلها في الكتاب الموحى به من عند الله لهداية الناس اعني به التوراة والانجيل . وثانياً اريد ان أبين لاخواني المسلمين انهم هم انفسهم يعتقدون بعقائد كثيرة جوهرية واساسية غير مدركة ومن ضمنها واولها الاعتقاد بالله فلماذا يطالبوننا باثبات ما لا يقدرون هم على اثباته فأقول

اولا ـ ان كل الذين يتخذون الله الهاً من يهود ونصارى ومسلمين لا يعرفون شيئاً عن الله الا ما اعلنهُ الله عن نفسه في كتبه المنزلة وما زاد على ذلك فهو من الشرير او من اجتهاد المجتهدين ولكنهُ لا يعوَّل عليه عند الورعين ولا يصح ان يتخذ حجة لاقناع الطالبين

ان مداركنا قاصرة عن ادراك خالقها والا لما كان الله . ولا يدرك الله الا الله . ان الله شيء ولكن لا كالاشياء مالئ السموات والارضين وحالٌّ فيها ولكن لا كحلول الاشياء في الاشياء بحيث يكون لهُ طول وعرض وعلوّ وعمق وكم وكيف لانه لا يحد ولا يدرك . تعالى عن التشبيه والتمثيل علوّاً كبيراً فلا نتطاول الى معرفة ما لا تدركه عقولنا القاصرة ولنقبل ما اعلنه الله لنا عن نفسهِ بدون بحث او جدال ذلك اقرب الى التقوى

كلما ورد في التوراة والانجيل مدرك الّا ما جاء عن الله وعما وراء العقل وهذا ما لا يتطرق اليهِ البحث لانه فوق الادراك واعلى من ان يصل اليهِ الفهم . ماذا ترى انبذه ظهرياً لاننا لا نقدر ان نفهمهُ ولا لوم على العقل بذلك ولا تثريب . أتسلم أيها المنطقي بفساد كل ما لا تفهمه وتنبذه فاذا فعلت هذا وجب عليك وعلى طلبة العلم ان تهجروا الكتب غير المفهومة وتتركوا المدارس تنعي من بناها

ان الامر المهم ان نبحث ان كان الكتاب (التوراة والانجيل) من الله أولا . فاذا ثبت (وقد ثبت حمداً لله) انه من عند الله فعلينا ان نصدق بكل ما ورد فيه . وافق أفكارنا . اولا . فهمناهُ كله أولا . اذ لا يجوز ان نصدق ببعض الكتاب لاننا فهمناه وان نكفر بالبعض الآخر لاننا لم نفهمه . وقد ورد في القرآن ذمّ من يفعل هذا في سورة البقرة « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون الى أشدّ العذاب »

كثيراً ما يشنع اخواننا المسلمون على التوراة والانجيل لانهما يذكران ان الله تكلم وسمع ونظر وكتب باصبعه وحزن وندم وحل وما اشبه ذلك فلازالة ما بقلوبهم من الشك اقول ايضاحاً لهذا

لا يخفى ان لكل أمة لغة مختصة بها ولكل لغة اصطلاحات مباينة لغيرها من اللغات والمجاز متطرق الى كل اللغات والشرقية منها اوفرها مجازاً على ما أعلم . فاذا خاطبت العربي اخاطبهُ بلغتهِ العربية واذا خاطبت الانكليزي اخاطبهُ بلغتهِ الانكليزية وقس عليهِ ما بقي من الشعوب واذا كان الذي اخاطبهُ متضلعاً من لغتهِ خاطبته بلغة فصحى واما اذا كان عامياً فلا اخالك تظن انني اكلمهُ بلغة فصحى وبالمجاز والكنايات لانهُ لا يفهم هذا بل اكلمه بلغة عامية اكاد غير قادر على التعبير بها عمـا يخالج فؤادي لقلة مادتها وكل ذلك حتى اجعله قادراً على فهم مرادي ولو بوجه التقريب . فالحق سبحانه وتعالى سلك معنا هذا المسلك

فاذ اراد ان يبين اهمية الوصايا العشر التي انزلها على موسى قال الكتاب انه « اي الله » كتبها باصبعهِ مع انه ليس له اصبع واذ اراد ان يبين ان

ارتكاب المنكرات قبيح ومخالف لاوامره تعالى قال ان هذا الارتكاب يغضبه ويحزنه ويحملهُ على الندم مع ان هذه الحوادث لا تؤثر فيهِ او عليه . واذ اراد ان يبلغنا انه يعرف ما ننطق به قال انه يسمعنا باذنيه مع انه ليس له اذنان وهكذا في سائر الامور . فهو قد كلمنا بلغة البشر لغتنا كما يكلم الانسان صاحبه كي يفهمنا مقاصده والا فبأي طريقة يفهمنا ذلك

ألا ترى انني لو رأيت شيئاً لم ترهُ عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر لا يمكنني ان اعبر لك عنه اذ ليس شيء من المدركات يماثله لأمثّله لك ولا اجد لذلك سبيلاً ولو أوتيتُ حكمة سليمان وفصاحة سحبان

وهكذا لو حاولت ان ابين الاكمه الفرق بين الاسود والابيض مئة عام لرجعت خائباً . او حاولت ان افهم الاصمّ الفرق بين قصيف الرعد وحفيف الاوراق لافنيت العمر في طلب المحال وذهب تعبي ادراج الرياح. وما ذلك الا لان حواس ذينك الرجلين الاكمه والاصم ناقصة فلا يستطيعان ان يبحثا عما هو وراء مداركهما . والخلاصة ان الله كلمنا بلغتنا وراعى ايضاً قوة مداركنا ولم يقصد الله ان يبين لنا ماهيتهُ لان هذا فوق عقولنا والكتاب لم يقصد ان يجعل الله محدوداً او محصوراً

وقد ورد كثيراً في القرآن ما يشابه هذا اذكر بعضه لافادة اخي المسلم

« وهل اتاك حديث موسى اذ رأى ناراً فقال لاهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدًى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك » (سورة طه)

« الله نور السموات والارض مثلُ نوره كمشكاةٍ فيها مصباح المصباح في زجاجةٍ الزجاجة كانها كوكب دريّ » (سورة النور)

22

« يد الله فوق ايديهم » (سورة الفتح)

قال ابراهيم « اني ذاهب الى ربي » (سورة الصفات)

« ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله » (سورة النساء)

« بل رفعهُ الله اليهِ » (سورة النساء)

« الى الله ترجع الامور » (سورة البقرة »

« ثم استوى على العرش » (سورة الاعراف)

« ثم استوى الى السماء » (سورة البقرة)

« متوفيك ورافعك اليَّ » (سورة آل عمران)

« ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » (سورة الرحمن)

« كل شيء هالك الا وجهه » (سورة القصص)

وقد نسب لله في القرآن الحب والغضب والرضى وهي من الانفعالات النفسانية والتحسر ايضاً والنسيان « فاليوم ننساهم » (سورة الاعراف)

« يا حسرة على العباد » (سورة يس)

« لحسرة على الكافرين » (سورة الحاقة)

لو اخذت هذه الآيات السالفة على ظاهرها لالتزمت ان تقرَّ ان الله تمثل بالنار او كان فيها وان قلت ان الله لم يكن النار او فيها بل كانت لهداية موسى الى امر قلتُ ان آخر الآية « فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى » يناقضك ويثبت مدعاي. وان الله نور وان هذا النور كمشكاةٍ وان المشكاة ضمنها مصباح الخ وهذا ما يعبر عنهُ بالحلول والحصر

ولالتزمت ان تقرَّ ان الله محلاً ووجهاً الى غير ذلك وهذا ما لا يسلم به مسلم

الثاني انت تقول ايها الاخ المسلم انك لا تصدق عقيدة التثليث (اي

ان الله واحد في ثلاثة اقانيم) لانك لا تقدر ان تفهمها ولا يمكن لاحد ان يثبتها لك ولكن قد فاتك انك انت تؤمن وتصدق اموراً كثيرة ضمن معتقدك الاسلامي مشاركاً فيها اليهودي والمسيحي ولكن اذا سألك كافر بالوحي عن اثبات امرٍ واحد منها عجزت انت وجميع الراسخين في العلم عن الاجابة واقامة البرهان كما ترى

كل مؤمن بالله يؤمن بانه تعالى خلق السماء وما فيها من شموس واقمار وكواكب ونجوم وسيارات وابدع الارض وما عليها من نبات وحيوان في ستة ايام وخلق الانسان الحيَّ الناطق بكلمة قدرتهِ ؛ وكل مؤمن يعتقد ان الانبياء الكرام والرسل الصالحين قد عملوا المعجزات العظام كاقامة الميت وابراء الاكمه وشفاء المفلوج الى غير ذلك.وكل مؤمن يعتقدبالقيامة والبعث اي ان كل البشر من آدم الى آخر شخص في العالم سيبعثون حتى ان الذين ماتوا حتف انوفهم والذين احرقتهم النار والذين اكلتهم الاسماك والذين افترسهم حيوان البر سيحيون بعودة ارواحهم الى اجسادهم التي تحولت الى صور شتى من تراب ونبات وحيوان وجماد لاجل الحساب والدينونة

فاذا عارضك كافر في هذه الحقائق وانكرها عليك افتقدر ان تثبتها بالبرهان المنطقي والدليل القويم والحجج العقلية من غير الكتب المنزلة . انت تعلم اكثر مني ولا ازيدك علماً انك عاجز عن اقامة الادلة لاثبات كل الاعتقادات السالفة

انت تؤمن بالله وتصدقهُ ولكن اذا سألتك ماهو الله وأين هولقصرت عن الجواب المقنع . وانت تعلم ان لك روحاً وتؤمن بهذا ولكنك لا تعرف ما هي الروح ولا اين هي . وانت تعلم وتصدق ان لك عقلاً ومدارك عقلية

21

ولكنك لا تفهم ماهيتها حتى انك لا تفهم كثيراً من الاشياء المحسوسة حق فهم حتى قال العلماء. اننا لا ندرك جوهر الاشياء المادية بل نعرف صفاتها وخواصها فقط فكم بالحري الاشياء الغير المحسوسة

وانا اعلم وانت تعلم واليهود والنصارى والمسلمون اجمعون يعلمون اننا واياهم نصدق مسألة الخلق والمعجزات والبعث والدينونة وخلود النفس ونؤمن بالله ليس لاننا قادرون على اثبات هذه العقائد بل لانها وردت في كتب نعتقدها منزلة صحيحة فاليهودى اذعاناً لكتابة التوراة والنصراني اذعاناً للتوراة والانجيل والمسلم اذعاناً للقرآن

وان صحّ رفض التثليث لعدم امكاننا ادراكه يلزم رفض كل هذه العقائد السالفة ورفض غيرها من معلنات الله التي ادراكها فوق طاقتنا نظير كونه تعالى قائماً بنفسه وازلياً وعلة العلل وغير معلول البتة وموجوداً في كل مكان في وقت واحد وعالماً بكل شيء وبكل ما يحدث منذ الازل والى الابد في كل وقت وعدم قبول علمه الزيادة او النقصان فسرّ التثليث ليس باعظم من هذه الاسرار

والله واحد في الجوهر مثلث في العدد وليس في الكون ما يماثلهُ . ولما كان الله فريداً في الكون في طبيعته وصفاته كان غير بعيد ان يمتاز عن كل ما سواه في كيفية وجوده كما يمتاز في صفاته السامية . وان قيل ان جوهراً واحداً ذا ثلاثة اقانيم محال قلنا تلك دعوى بلا برهان وان عقولنا القاصرة لم تخلق مقياساً للممكن وغير الممكن مما هو فوق ادراكها واقانيم اللاهوت هي في جوهر واحد فرد لا في جوهر واحد جنسي او نوعي فالتعدد في اللاهوت لا يلحق الجوهر ولا يستلزم انقسام الجوهر لان جوهر الله غير مادي بل

روحي والروح لا يقبل الانقسام مطلقاً . واما التعدد الاقنومي في البشر فيقوم بتعدد الجوهر والاقنوم معاً فكل من الآب والابن والروح القدس هو باعتبار اقنومه في الذات الواحدة ولكل منهم جوهر اللاهوت الواحد بلا انقسام ولا انفصال وليس للفظة اقنوم في اللغـة معنى كمعناها الخاص في التعبير عن الثالوث الاقدس

أفبعد كل هذا تعتقد ان اعتقاد النصارى بالتثليث جهالة أفتقول بعد كل هذه الامثلة انك لا تسلم بالتثليث لانك لا تجد عليه دليلاً عقلياً . ألا تعلم حرسك الله ان لكل شيء برهاناً من نوعه فالحوادث التاريخية لا تثبت الاَّ من التاريخ والفلسفية لا تثبت الاَّ من الفلسفة والكيمية من الكيماء وهلمَّ جرًّا

أيمكنك ان تثبت ظهور اسكندر المكدوني وغزواته العديدة في مصر والشام وبلاد فارس وبلاد الهند وغـيرها بطريقة كيمية او هندسـية او منطقية . كلا . لان هذا من وظيفة التاريخ ليس الاَّ . او هـل يمكنك ان تثبت لي ان الكل اعظم من جزئه بطريقة كيماوية فينتج معنا اذاً صحـة القانون المتقدم ذكره اي ان لكل شيء برهاناً من جنسه . فالمسائل الدينية تثبت من الكتب المنزلة والمسائل الرياضية من العلوم الرياضـية كالحساب والجبر والهندسة والمسائل الفلكية من علم الفلك وقس على ما ذكر مالم يذكر فلا تحاول اذاً ايها الاخ المسلم ان تثبت وتبرهن العقائد الدينية بالبراهين العامية لئلا تضل ضلالاً بعيداً وتعود بخفي حنين

ولماذا تخالفني في مسألة التثليث ونحن ربما متفقون عليها في الجوهر لانك انت تقول الله وكلمته وروحه بالتثليث وانا أقول الآب والابن والروح

القدس فآمن بالله ولا تقل ثلاثة . انتهِ خيراً لك انما الله اله واحد (سورة النساء) نعتقد ان الله له كلمة وروح ولكن لا نعلم ما هو الله وما هو كلمة الله وما هو روح الله كما انك انت تعتقد بهذا ولكنك لا تفهمه

والآب كلمة سريانية معناها الاب السماوي والمدة فوقها تميزها في العربية عن الاب الارضي . ودعي الله اباً مجازاً لانه اب الخليقة اي موجدها ومحبها والمعتني بها جامعاً كل صفات الوالد . والابن هو كلمة الله مولود الآب وكل ما في الله هو الله حسب اعتقادك فكلمة الله هو الله وله كل صفات الله كواجب الوجود والازلية وغيرهما وروح الله هو الله ومشارك له في القدم وعدم الفناء

وها انا انقل لك ما قاله ابن الكندي في القرن التاسع في مسألة التثليث مخاطباً عبد الله بن اسماعيل الهاشمي « كيف تفهمنا ان الله واحد . ألا تعلم ان الواحد لا يقال له واحداً الا على ثلاثة أوجه اما في الجنس واما في النوع واما في العدد فعلى ايّ وجه تصف الله عزّ وجل واحداً من هذه الوجوه أفي الجنس ام في النوع ام في العدد . فان قلت انه واحدٌ في الجنس صار واحداً عاماً لانواع شتى لان حكم الواحد في الجنس هو الذي يضم انواعاً كثيرة مختلفة وذلك مما لا يجوز في الله تعالى وان قلت انه واحد في النوع صار ذلك نوعاً عاماً لاقانيم شتى لان حكم النوع يضم اقانيم كثيرة في العدد وان قلت انه واحد في العدد كان ذلك نقضاً لكلامك انه واحد فرد صمد . وألا تعلم ان الواحد الفرد بعض العدد لان كمال العدد ما عم جميع انواع العدد فالواحد بعض العدد وهذا نقض لكلامك فان قلت انه واحد في النوع فللنوع ذوات شتى لا واحد فرد وان قلت انه واحد في الجوهر وجب ان نسألك

هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العدد او انما تعني واحداً في النوع واحداً في العدد لانه عام فان قلت قد تخالف هذه تلك قلنا لك حد الواحد في النوع اسم يعم افراداً شتى وواحد الواحد ما لا يعم غير نفسه . أفمقرٌ أنت ان الله واحد في الجوهر يعم اشخاصاً شتى وانما تصفه شخصاً واحداً وان كنت تعني انهُ واحد في النوع واحد في العدد فانك لم تعرّف الواحد في النوع ما هو وكيف هو ورجعت الى كلامك الاول انهُ واحد في العدد وهذه صفة المخلوقين. واما المسيحيون فيصفونهُ واحداً كاملاً في الجوهر مثلثاً في العدد أي في الاقانيم الثلاثة فقد كملت صفته من الوجهين واحداً في الجوهر لاعتلائه عن جميع المخلوقات بسيط غير كثيف وروحاني غير جسماني . واحداً في العدد فلانه عام لجميع أنواع العدد لان العدد لا يعد وان تكن أنواعه نوعين زوجاً وفرداً فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلاثة فبأيّ الانحاء وصفناه لم نعدل عن صفة الكمال شيئاً كما يليق به ذلك لتعلم ان وصفنا الله واحداً ليس على ما وصفته أنت »

واني في الختام اسأل الله الواحد في الجوهر المثلث في العدد ان يهب لك روحه القدوس كي يقنعك بصحة هذه العقيدة اقناعاً قلبياً لتؤمن بها كما آمنت به انه على كل شيء قدير وبالاستجابة جدير

البحث الثامن

﴿ الباراكليت ومحمد ﴾

يدعي اخواننا المسلمون ان اسم نبيهم محمد قد ورد في الانجيل استناداً على ما ورد في القرآن في سورة الصف « واذ قال عيسى ابنُ مريمَ يا بني

19

اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمهُ احمد)

وقالوا ان كلمة باراكليت اليونانية الواردة في الانجيل معناها احمد واحمد ومحمد سيان وبعضهم يدعي بان الانجيل مبدل لان هذه البشارة لا توجد فيه الآن مع انها لم تزل موجودة كما كانت في ايام محمد في اللغة اليونانية . ولكن ما فهمه القرآن من الكلمة المقصودة في الآية هو في غير محله لان الكلمة في اليونانية كذا ΠΑΡΑΚΛΗΤΟΣ وليست كذا ΠΕΡΙΚΛΗΤΟΣ وبالحرف الافرنجي كذا *Paracletos* وليست *Pericletos* وبالحرف العربي بَارَاكلِيتُس وليست بِرِكْلُتوس فالاولى معناها المعزي والثانية المشهور او المحمود

وهذه الآية لم تزل في الانجيل برهاناً على انه لم يتغير . ولنرجع الآن الى ايراد الآيات الوارد فيها لفظة الباراكليت لنفهم معناها من القرائن ولنرى هل يصح ان تنسب الى محمد كما يدعي اخواننا المسلمون

الاولى « وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزياً (باراكليت) آخر ليمكث معكم الى الابد روح الحق الذي لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه واما انتم فتعرفونه لانه ماكث معكم ويكون فيكم » (يوحنا ١٤ : ١٦ و ١٧)

الثانية « ومتى جاء المعزي (الباراكليت) الذي سأرسله انا اليكم من الآب روح الحق الذي من عند الاب ينبثق فهو يشهد لي » (يو ١٥ : ٢٦)

الثالثة « لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي (الباراكليت) ولكن ان ذهبتُ ارسله اليكم ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة » (يو ١٦ : ٧ و ٨)

الرابعة « وفيما هو (المسيح) مجتمع معهم اوصاهم ان لا يبرحوا من

اورشليم بل ينتظروا موعد الاب الذي سمعتموه مني لان يوحنا (يحيى) عمَّد بالماء واما انتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الايام بكثير (اعمال ١ : ٤ و ٥)

الخامسة « ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع بنفس واحدة وصار بغتةً من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع (الرسل) من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة اخرى كما اعطاهم الروح ان ينطقوا » (اعمال ٢ : ١ - ٥)

لا يخفى ان المسيح عيسى كان معلم الحواريين مدة اقامته بينهم وكان مرشداً ومعزياً لهم ومدافعاً عنهم حتى تعلقت قلوبهم به

وهو بسابق علمه عرف ان فراقه بواسطة الموت سيحزنهم جداً وتحقق انهم في حاجة الى مساعدة سموية للتقوية والارشاد والتعزية بعد فراقه لذلك سبق فوعدهم بالروح القدس المعزي الآخر كما رأيت في الآيات السالفة الذكر

وبعد امعان النظر في هذه الآيات يتضح لنا ان الشخص الموعود به لا يمكن ان يكون محمداً نبي المسلمين لاسباب موجودة في نفس الآيات

الاول ان الموعود غير ذي جسم « روح الحق » لذلك لا يستطيع العالم ان يقبلهُ لانهُ لا يراهُ وهذا الوصف لا يصدق على محمد لانهُ ذو جسم وقد رآه العالم المؤمن والكافر

الثاني ان الموعود بهِ جاء ليمكث مع الحواريين الى الابد « ليمكث معكم الى الابد » وهذا أيضاً لا يصدق على محمد لانهُ لم يأتِ في زمن الحواريين ولم يمكث في العالم أو معهم الى الابد

18

الثالث ان الموعود به كان مع الحواريين « لانه ماكث معكم » وهذا أيضاً لا يصدق على محمد لانه لم يكن مع الحواريين وقتئذٍ

الرابع ان المسيح اوصى الحواريين « ان لا يبرحوا من اورشليم بل ينتظروا » ذاك المعزي الروح القدس . وهم اطاعة لامر سيدهم (والمسلمون يعتقدون ان الحواريين طائعون) انتظروا عشرة أيام في اورشليم حتى جاء ذلك المعزي « وامتلأ الجميع من الروح القدس » وهذا أيضاً لا يصدق على محمد والاّ كان يجب على الحواريين ان ينتظروا في اورشليم نحو ست مئة سنة الى مجيء محمد وانى لهم هذا العمر . وخصوصاً ان المسيح وعدهم بارسال هذا الروح المعزي على عجل والاّ فليس من فائدة للتعزية وهم موتى فتعزية لهم قال « واما انتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الايام بكثير »

ولست اظن ان الاخ المسلم يريد ان يعتقد ان المسيح هو الذي ارسل محمداً لان الآيات السالفة تبين ان المسيح هو الذي ارسل الروح المعزي . فان كان ذلك كذلك فلنا معهُ بحث آخر فيه يضطر ان يسلم بألوهية المسيح الراسل لان محمداً كان يدعي انه رسول الله فتأمل . والله اسأل ان يهب أخي المسلم هذا الروح القدس كما وهب الحواريين كي يرشدهُ الى الحق ويهديه سواء السبيل وينير ذهنه ليعرف الغث من السمين

البحث التاسع

﴿ في النبوأت ومحمد ﴾

يظن بعض اخواننا المسلمين ان في التوراة والانجيل نبوأت بحق محمد وان اليهود والنصارى يؤولونها حسب رغائبهم تحباً باظهار الحقيقة

أوردها لك مع بعض ايضاحات لتكون على بصيرة من هذا القبيل

الاولى « يقيم لك الربّ الهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون . اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك » (تث ١٨ : ١٥ و ١٨) يخاطب هنا موسى بني اسرائيل كشخص واحد قائلاً يقيم لك الرب الخ وهذه النبوة لا يمكن ان تنطبق على محمد لان النبي الموعود به لابدّ أن يكون من الاسرائيليين من وسطهم واسماعيل الذي أتى محمد من نسله كان منفصلاً عن بني اسرائيل منذ اجيال عديدة في ذلك الوقت فلم يكن يحسب من بني اسرائيل أو في وسطهم . والجملة (من اخوتك) تبيان لجملة (من وسطك) وتوكيد لها . ومما يزيد الحقيقة وضوحاً في هذه المسألة هو ما ورد قبل هذه النبوة في تثنية (١٧: ١٤-١٦) متى أتيتَ الى الارض . . . فان قلت اجعلُ عليّ ملكاً . . . فانك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب الهك من وسط اخوتك تجعل عليك ملكاً . « لا يحلُّ لك ان تجعل عليك رجلاً اجنبياً ليس هو أخاك »

ألا يتضح لك من هذه الآيات ان (من وسط اخوتك) و (أخاك) لا يمكن تفيد ما هو خارج عن بني اسرائيل بدليل قوله « لا يحلّ لك ان تجعل عليك رجلاً اجنبياً ليس هو اخاك »

هذا هو اصطلاح اليهود وهذا هو المعنى الحق المقصود . وكما ان (اخوتك) و (أخاك) لا تعني من هو خارج عن بني اسرائيل كذلك (من وسطك من اخوتك) لا يمكن ان تعني من هو من نسل اسماعيل لان اسماعيل لم يكن اخاً شرعياً لانهُ كان ابن الجارية كما هو معلوم ومشهور وأنى للعبد أن يساوي السيد أو يدرك شأوهُ

17

واقرأ ما ورد في سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرين والعدد العاشر تعرف الفرق بين اسماعيل واسحق « فقالت (سارة) لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها (اسماعيل) لان ابن الجارية لا يرث مع ابني اسحق فقبح الكلام جداً في عيني ابراهيم لسبب ابنهِ فقال الله لابراهيم لا يقبح في عينيك من اجل الغلام ومن اجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لانهُ باسحق يُدعى لك نسل »

واما النبي الموعود به في هذه النبوّة فهو بلا ريب المسيح عيسى واما اوجه الشبه بينهُ وبين موسى فهي اولاً القربى لان موسى كليم الله والمسيح كلمة الله . الثاني الشفاعة لان موسى كان الوسيط بين الله وبني اسرائيل والمسيح هو الوسيط بين الله والناس

الثالث القيادة لان موسى قاد بني اسرائيل من مصر ارض العبودية الى ارض الموعد موعد آبائهم أرض الحرّية والمسيح قائد المؤمنين في تيه هذا العالم ومخرجهم من عبادة الشيطان الرجيم وموصلهم الى ارض الحرّية جنات النعيم . الرابع الغلبة لان موسى حارب اعداء الله واخضعهم والمسيح حارب حرباً روحية واخضع القلوب والاميال التي هي اعظم من اخضاع الرقاب وسوف يأتي ايضاً حسب النبوات ويخضع كل شيء تحت قدميهِ ويهلك اعداءهُ . الخامس التشريع لان الشريعة شريعة العهد القديم اعطيت عن يد موسى والمسيح اعطى شريعة العهد الجديد الانجيل . والمسيح قد فاق موسى بما لا يقاس « لان الناموس بموسى اعطي واما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » (يو ١ : ١٧)

ويكفي للشبه وجه واحد وليس من الضروري ان تكون كل اوجه

الشبه تامة كما قرَّر علماء البيان وها قد ذكرنا لك اوجهاً عسى ان تقنع العاقل المنصف وتردّهُ الى جادة الطريق المستقيم

(الثانية) « هم اغاروني بما ليس الهاً اغاظوني بأباطيلهم فانا اغيرهم بما ليس شعباً بامة غبية اغيظهم » تث ٣٢ : ٢١

ظن صاحب اظهار الحق ان المقصود هنا بالامة الغبية العرب وقال ان ليس المراد بالشعب الجاهل اليونانيين كما يفهم من كلام بولس الرسول في رومية ص ١٠ لان اليونانيين كانوا فائقين اهل العالم في العلوم والفنون ومنهم ظهر الفلاسفة والحكماء المشهورون . فكلامهُ مردود واليك البيان

ان المقصود من الغباوة والجهل هو الغباوة الدينية والجهل الديني لانه ماذا ينفع بقراط العلم وهو يعبد الصنم مثلاً . أليست حكمته جهالة عند الله وفلسفته غباوة . انظر ما قال بولس بالوحي لاهل افسس الوثنيين سابقاً « لذلك اذكروا انكم انتم الامم قبلاً في الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختاناً مصنوعاً باليد في الجسد . انكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح اجنبيين عن رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا اله في العالم ولكن الآن في المسيح يسوع انتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح » افسس ٢ : ١١ — ١٣ . وانظر ما قال بطرس الرسول بالوحي « الذين قبلاً لم تكونوا شعباً واما الآن فانتم شعب الله الذين كنتم غير مرحومين واما الآن فمرحومون » (بط ٢ : ١٠)

فترى مما تقدم ان الشعب المقصود هو الامم وليس اليونانيين وغيرهم والكلام موجه الى المعتقد لا الجنسية ولست ادري كيف اتخذ صاحب الاظهار هذه الآية نبوةً عن محمد لانها نبوة عن امة وشعب لا عن فرد كما

16

يتضح بادنى تأمل. وهب ان العرب هم المقصودين بالامة الغبية فالعرب الذين اعتنقوا الديانة المسيحية اولى بهذه النسبة من العرب الذين اعتنقوا الاسلامية ولا يغرب عن بالك ان العرب المتنصرين ليسوا بقلائل وهم حمير وغسان وربيعة وتغلب وبهراء وتنوخ وبعض طي وقضاعة واهل نجران الذين منهم قس بن ساعدة المشهور والحيرة وقد نبغ فيهم الشاعر والناثر والعالم كما يعلم كل من له المام في تاريخ العرب

(الثالثة) « جاء الرب من سيناء واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران واتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم » تث ٣٣ : ٢ قال صاحب « اظهار الحق » تفسيراً للآية السالفة ما يأتي « فمجيئهُ من سيناء اعطاؤهُ التوراة لموسى واشراقه من سعير اعطاؤهُ الانجيل لعيسى وتلألؤهُ من فاران انزالهُ القرآن لان فاران جبل من جبال مكة »

والحقيقة ان القصد من هذه الآية هو وصف اتساع الدائرة التي ظهر فيها مجد الرب حيث سكن اليهود باعطائه الشريعة لهم واما جبل فاران المذكور فهو جبل قائم على حد برية سيناء الشمالى كما يظهر لكل مطلع على خارطة بلاد العرب وهذا الجبل بعيد عن مكة نحو خمسماية ميل جنوباً . ولم يذكر احد من المؤرخين او الجغرافيين القدماء او المحدثين حتى ولا ابو الفداء انه يوجد جبل بمكة اسمهُ فاران الا ياقوت في كتابه المسمى « المشترك وضعاً والمختلف صقعاً » وهذا هو كلامه بحروفه « فاران اسم جبال مكة وقيل اسم جبال الحجاز وفاران قال ابو عبيد القضاعى في كتاب خطط مصر فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وفاران من قرى صغد سمرقند ينسب اليها ابو منصور محمد الفاراني ». واذا سلمنا جدلاً ان جبال مكة تدعى جبال

فاران تقع في مشكل آخر وهو اية فاران عني الكتاب في الاية لاننا نرى من كلام ياقوت المؤرخ ان فاران موجودة في اربعة محلات وهي مكة والحجاز ومصر وبلاد فارس . ولكن بما ان المحلات تعددت فيتحتم علينا ان نسلم بان المحل المقصود هو الذي تدل عليه القرينة والقرينة تدل على ان المحل المقصود هو جبال فاران التي على حدّ برية سيناء الشمالي لان فاران وردت في التوراة مرات عديدة وفي كل محل كان المراد بها فاران التي على حد برية سيناء الشمالي كما ترى من الايات التالية

الاولى في تك (١٤:٦) « وفي السنة الرابعة عشرة اتي كدلعومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائيين في عشتروث قرنايم والزوزيين في هام والايميين في شوى قريتايم والحوريين في جبلهم سعير الى بطحة فاران التي عند البرية»

فالتوراة هنا تعين فاران ملاصقة لسعير مسكن الحواريين ولا يمكن للقارئ ان يظن ان المراد بفاران هنا جبال مكة لان الحواريين لم يسكنوا مكة

الثانية في (تك ٢١ : ٢١) « وسكن (اسماعيل) في برية فاران واخذت له أمه زوجة من أرض مصر» يستدل من هذا ايضاً على ان المراد بفاران هذه فاران التي على حد برية سيناء الشمالي . والا كيف يتسنى لهاجر ان تخذ زوجة لابنها من مصر ان لم تكن في مصر او على مقربة منها وهذا اقرب للتصديق

الثالثة في سفر العدد (١٠ : ١٢) « فارتحل بنو اسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة في برية فاران» لا شك ان المراد بفاران هنا غير مكة لاننا نعلم ان السحابة كانت تظلل بني اسرائيل نهاراً في رحلاتهم وذكر فاران هنا بعد سيناء يدل على انها متاخمة لها ولا يعقل ان موسى وبني

اسرائيل ذهبوا الى مكة في طريقهم الى بر الشام

الرابعة في سفر العدد (١٢ : ١٥) « وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا في برية فاران » من هذه يرى ان فاران كانت على طريق بني اسرائيل في ذهابهم الى ارض كنعان ارض الموعد ومتاخمة لحضيروت ولا يمكن ان يراد بها جبال مكة

الخامس في سفر العدد (١٣ : ٣) « امر الله موسى ان يرسلا رجلاً من كل سبط ليتجسسوا ارض كنعان » « فارسلهم موسى من برية فاران » فذهبوا و بعد التجسس رجعوا « الى برية فاران » عدد ٢٦ حيث كان موسى وبنو اسرائيل . الامر واضح ان فاران هذه ليست من جبال مكة

السادس في (تث ١ : ١) « هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع اسرائيل في عبر الاردن في البرية في العربة قبالة سوف بين فاران وتوفل »

هل يمكن ان يراد بفاران جبال مكة . كلا كما يظهر بادنى تأمل

السابعة في اصم (٢٥ : ١) « ومات صموئيل فاجتمع جميع اسرائيل وندبوهُ ودفنوه في بيته فى الرامة وقام داود ونزل الى برية فاران »

يظهر من هذه الآية ان فاران متاخمة للرامة وهل داود نزل الى مكة ولماذا ؟

الثامنة (في امل ١١ : ١٨) « وقاموا من مديان واتوا الى فاران واخذوا معهم رجالاً من فاران واتوا الى مصر الى فرعون »

هل ذهب الرجال من مديان الى مكة ومنها الى مصر حيث كانوا قاصدين لانهم هربوا ووجهتهم مصر كما نعلم من العدد السابق « ان هدد هرب هو ورجال ادميون من عبيد ابيه معه ليأتوا مصر » لا يعقل انهم فعلوا ذلك

فاذا كان المراد بفاران في هذه الآيات الثمان فاران المتاخمة لسيناء فهل يعقل انه يراد بها في آية بحثنا جبال مكة . كلا

لو كان قصد الوحي كما يزعمون لذكر مكة باسمها المشهور في كل بلاد العرب ومصر والشام الا وهو مكة او بكة خوفاً من الالتباس وخوفاً من حملها على فاران المتكررة في التوراة

فأين القرينة ليت عمري التي دلت صاحب الاظهار على ان المراد بفاران جبال مكة اذ لا قرينة ولا علاقة ولكن الغرض يعمي ويصم . والآية نفسها لا تدل على مجيء نبي من الانبياء لانها تقول (جاء الرب) والرب لا تطلق على نبي

الرابعة « واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها انا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً اثنى عشر رئيساً يلد واجعله امة كبيرة » (تك ١٧ : ٢٠)

قد نقل صاحب الاظهار هذه الآية من توراة مترجمة قديمة حيث كانت الجملة الاخيرة « واجعله لشعب كبير » وقال ان هذه الجملة تشير الى محمد لانه لم يكن في ولد اسماعيل من كان لشعب كبير غيره . انتهى كلامه

قد ترك صاحب الاظهار آيتين سابقتين للنبوة لهما علاقة كلية بها عمداً وهاهما اتماماً للفائدة « وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش امامك فقال بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق واقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده »

اننا نفهم من قرآءة الآيات الثلاث معاً ان ابراهيم توسل لله من اجل اسماعيل حاسباً انه باسماعيل سيكون له نسل فازال الله هذا الوهم بقوله : (بل سارة تلد لك ابناً) الذي اقيم عهدي معه لا مع اسماعيل والذي به يكون لك

14

نسل واما اسمعيل فاني لاجلك اباركه ببركات اعتيادية واكثره واجعله امة كبيرة ولكن عهدي اقيمه مع اسحق

وكيفما قلبنا الجملة الاخيرة « واجعله امة كبيرة » او « واجعله لشعب كبير » لا نجد فيها ما يشتم منه رائحة الاشارة الى محمد او غيره من الافراد

ما معنى لام الاختصاص في كلمة (لشعب) هل يريد صاحب الاظهار ان اسماعيل سيكون ملكاً او مختصاً بمحمد . ان هذا لمن التأويل التافهة ولماذا لا يكون لغيره . والمعنى القويم هو في الترجمة الجديدة « واجعله امة كبيرة » وقد اتم الله وعده من جهة اسماعيل اذ جعله بعد ان طرده ابوه امة كبيرة اخضعت بلاداً شاسعة الاطراف بعيدة الاكناف وسادت وزهت وبنت لنفسها صرحاً من المجد وقام فيها رؤساء وملوك ولم تزل للآن مصداقاً للنبوة . وهل يصح ان يقال عن محمد انه شعب كبير . واذا صح هذا فهل في (شعب كبير) ما يعين محمداً . تأمل واحكم

الخامسة (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب) (تك ٤٩ : ١٠)

قال صاحب الاظهار ان المقصود بشيلون هو محمد وحاول ان يبين فساد اسنادها الى المسيح تاريخياً فضل ضلالاً بعيداً

القضيب حسب استعمال اليهود انواع . منه ما يحمله الراعي ومنه ما يستعمل علامة على السلطة العامة الملكية فيدعى اذ ذاك صولجاناً . ومنه ما يدل على السلطة الخاصة والامتياز اي سلطة سبط على سبط وذلك لان الاسباط كانوا معتبرين كقضبان او كاغصان جذع انظر تاريخ يوسيفوس وجه ١٣٥٣ من النسخة الانكليزية والنوع الاخير اي السلطة السبطية والامتياز

هو المقصود بالنبوة لان السلطة الملكية لم تكن وقتئذٍ معروفة بين اليهود القلائل ولم يحلموا بها ولكن يعقوب قصد ان يجعل ميزة ليهوذا على بقية الاسباط فقال له « اياك يحمد اخوتك يسجد لك بنو ابيك » وقال بعدئذٍ « لا يزول قضيب من يهوذا الخ » اي ان ذلك الامتياز وتلك السلطة التي ليهوذا على باقي الاسباط لا تزول حتى يأتي شيلون . ومما يثبت ان المراد بالقضيب هنا ليس السلطة الزمنية الملكية هو اقامة شاول اول ملك ملكاً على بني اسرائيل وهو ليس من سبط يهوذا كما قام غيره ايضاً ولم يخلع الله شاول من الملك الا لانه رفض قول الله وعصاه

وكلمة مشترع تدل فى الاصل على معطي الشريعة او مفسر الشريعة فكاتب الشريعة اومفسرها او معطيها لا بد له من سلطة تخوله ذلك . لذلك ذكر الكتاب القضيب مناسبة لهذا

وكلمة شيلون تعني صانع السلام او رئيس السلام او الذي له الحق او مسيا (المسيح) وكل اليهود القدماء كانوا يفهمون بها المسيح الذى اتى من نسل يهوذا . واما عن اتمام النبوة فلا شك ان السلطة السبطية وعلو الشان والتشريع وتفسير الشريعة ظلت في يهوذا حتى خراب اورشليم بعد موت المسيح بقليل . والقول بذهاب السلطة المطلقة الملكية من يهوذا بعد السبي البابلي لا يناقض النبوة لان النبوة لم تعين مطلق السلطة بل السلطة السبطية الخاصة كما رأيت . وعند زوال هذه السلطة جاء شيلون رئيس السلام الذي له حق الملك الروحي والتشريع وتمت النبوة . والعاقل المنصف لا يجد في هذه النبوة اشارة الى محمد على الاطلاق

السادسة « فاض قلبي بكلام صالح متكلم انا بانشائي للملك ... انت

ابرع جمالاً من بني البشر ... تقلّد سيفك على فخذك ايها الجبار ... كرسيك يا الله الى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك .. الخ (مزمور ٤٥ فليراجع في محله في التوراة)

الكلام مؤلف من مجاز وحقيقة واكثر هذا المزمور مجازي لانه تصورات شعرية في الاصل بالهام الهي

لا شك ان الملك المقصود في العدد الاول هو المسيح ولا يمكن ان يكون داود او سليمان او محمداً نبي الاسلام كما يدعي صاحب الاظهار بدليل ثابت صريح هو العدد السادس (كرسيك يا الله الى دهر الدهور) الذي فيه اشارة ظاهرة الى لاهوت المسيح ولكن صاحب الاظهار غض الطرف عن هذا العدد عمداً خيفة من فشله وفساد دعواه الطويلة العريضة لاننا اذا تأملنا في هذا العدد يكفينا مؤونة التعب وتجنب الوصب

أيجوز في شرع المسلم ان ينسب الكلام الموجود في العدد السادس الى محمد؟ كلا

يراد بالجمال المذكور في هذا المزمور ليس الجمال الطبيعي بل جمال الخُلق والبهاء الروحي . والمراد بالسيف والنبال سيوف ونبال روحية استخدمت في حرب روحية . فالله القدير اذ اراد ان يخبرنا عن قوة المسيح الروحية وانتصاره على الشيطان وكل جنوده واعوانه شخص لنا هذا بحرب دموية تسيل فيها الارواح على ظبات السيوف ورؤوس النبال وتشرى الارواح بارخص الاثمان وعبر لنا عن هذا بالفاظ نفهمها . ولما اراد ان يبين لنا محبة الكنيسة جماعة المؤمنين لهذا الملك المسيح عبر عنها بمحبة عروس لعريس ولما اراد ان يعبر عن خضوع هذه الكنيسة المؤلفة من كل طبقات الناس قال

« بنات ملوك بين حظياتك » « وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية » ولما اراد ان يعزي الكنيسة عن فقد شعبها وبيت ابيها عبادة الاصنام والشرف العالمي قال لها « عوضاً عن اباءك يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الارض » اي ان المجد سيكون منك وليس منتقلاً عن اباءك

واذا جاز للمسلم الدعوى ان هذا المزمور نبيء عن محمد جاز لغيره القول انه يشير الى سليمان الملك ابن داود او الى اسكندر الكبير وغيرهما من الملوك القاهرين العالمين اذ كل يدعي انه يحب البرّ ويبغض الإثم مع انغماسه في الاثام والشرور. ومريد وكل واحد ينسبون لحبيبهم كل جمال باهر وسلطان قاهر. ولكن الحقيقة انه نبؤة عن المسيح ولا يمكن ان تكون عن غيره بدليل قوله (كرسيك يا الله الى دهر الدهور)

السابعة (سبحوا الرب تسبيحاً جديداً الخ) مزمور ١٤٩ راجعه في محله في التوراة

ليس في هذا المزمور ما يشير الى محمد او لشخص آخر كما يتوهم قوم (ليتهج بنو صهيون بملكهم) اي ليفرح بنو اورشليم اليهود بملكهم الله

ولكن صاحب الاظهار وهم ان المراد بالملك هو محمد وهذا خطأ محض لان هذا الملك هو ملك بنو صهيون (اورشليم) اليهود فما دخل العرب ومحمد في هذا. هل كان محمداً ملكاً على اليهود؟ كلا. ومحمد لم يدّعِ قط ملكاً ولكن صاحب الاظهار يريد ان يجعله ملكاً اثباتاً لدعواه ويدعي له مالم يدعهِ هو لنفسهِ. (تنويهات الله في افواههم وسيف ذو حدين في يدهم) هذا وصف بني صهيون جنود ذلك الملك (الله) وهو يصدق عليهم تمام التصديق لانهم كانوا ابطال حرب مدربين في ساحات القتال في حروبهم

12

المتعددة للرب وكانوا يسبحون الله بافواههم ويخدمونه بالسيوف البتارة ذات الحدين بايديهم . وداود النبي نطق بهذا الوحي تحميساً لبني اسرائيل في ميادين الطعن والجلاد لاتمام مقاصد الله

فترى ان جملة « بنو صهيون » قد خربت كل ما بناه صاحب الاظهار ودكت كل اوهامه فتأمل وكن من المنصفين

الثامنة « هوذا الاوليات قد أتت والحديثات انا مخبر بها الخ » (اش ٤٢ : ٩ - ٣٢) راجع هذا في محله في التوراة

كل ما في هذا الفصل مما يستحق الذكر في بحثنا هو جملتان « غنوا للرب أغنية جديدة » و « لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار » فصاحب الاظهار قال (ان الاغنية الجديدة عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمدية ولفظ قيدار اقوى اشارة الى محمد)

ولكن الحقيقة ليس ما زعم

وما حمل اشعيا على القول (غنوا للرب اغنية جديدة) هو عدم وفاء الاغنية القديمة بالمرام لتقديم الشكر لله على نعمه العظيمة التي سيمنحها للعالم بواسطة المسيح وعمل الفداء وهذه التسبيحة او الاغنية ستعم الديار التي سكنها قيدار اعني نسل قيدار (النبوة تشير الى جمع لا فرد فلا تصدق على محمد) الذي هو الابن الثاني لاسماعيل وستعم سكان سالع ساكني الجبال الصخرية وستعم الجزائر والبحر واقصى الارض . كل هذا اشارة الى امتداد الديانة المسيحية وارتفاع شكر الذين اعتنقوها برهاناً على شعورهم بفضل الله اذ منحهم الخلاص والحياة الابدية بالمسيح . وقد تمت هذه النبوة تماماً خصوصاً في ايامنا هذه اذ نور معرفة الانجيل قد اضاء في كل انحاء الارض ولست

اذكر بلاداً الا وقد دخلها الدين المسيحى فلم تبق جزيرة من الجزائر او منطقة من المناطق الست او بلاداً من البلدان الآ وفيها من يشعر بمراحم الرب ويغني له اغنية جديدة . ولكن الديانة الاسلامية لم تصل الى نصف هذا الحد من الامتداد بل لم تزل منحصرة في محال معدودة كما هو معلوم . ألم تعتنق قبائل العرب المتعددة الديانة النصرانية واليهودية كما عرفت سابقاً . أليست هذه من قيدار من نسل اسماعيل . ألم تغنّ هذه اغنية جديدة الم يوجد من العرب من سبّح الله من رؤوس الجبال قبل الاسلام . فما بال صاحب الاظهار كلما آنس كلمة تنسب الى اسماعيل او العرب نسبها الى محمد ألا يوجد في العرب غير محمد . ان هذا لعجب عجاب

التاسعة « ترنمي ايتها العاقر الخ » اش ٥٤ راجعه في محله في التوراة نزلت هذه النبوة يوم كان اليهود في السبي البابلي . والمقصود بالعاقر الكنيسة اليهودية (جماعة المؤمنين) وسماها الله عاقراً لانها في مدة السبي قلّت عدداً ولم تعد تنمو شأن العاقر التي لا تلد

وعدم نموها وهجر بعلها الله (عدد ٥) سببا لها حزناً فالله بعلها عاد فذكرها وقال لها ترنمي ايتها العاقر لان بني المستوحشة (اورشليم او الكنيسة) اكثر من بني البعل (عبدة الاصنام) اشارة الى نموّ هذه الكنيسة بعد التأخر . لذلك قال الله « اوسعي مكان خيمتك واطيلي اطنابك وشددي اوتادك لانك تمتدين الى اليمين والى اليسار ويرث نسلك امماً ويعمر مدناً خربة » ترنمي لان بعلك الله قد صالحك « لانه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب » « لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك »

وقد شبّه الله كثيراً جماعة المؤمنين بعروس له لشدة العلاقة الحبية

الكائنة بينهما كما ترى في اشعيا (٦٢ : ٥) « وكفرح العريس بالعروس يفرح بك الهك » وكما ورد في (رؤيا ٢١ : ٢ و ٣) « ورأيت المدينة المقدسة اورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس »

واما وعد الله بنمو هذه الكنيسة فهو لا شك اشارة الى نموها في عهد المسيح خصوصاً ودخول امم في حظيرتها واعتناق الوف من الوثنيين ديانتها . هذا هو المعنى الصحيح كما يرى بالمراجعة

واما صاحب الاظهار فقال ان المراد بالعاقر مكة لانه لم يظهر منها نبي بعد اسماعيل ولم ينزل فيها وحي بخلاف اورشليم وبنو الموحشة عبارة عن اولاد هاجر لانها كانت بمنزلة المطلقة انتهى كلامه

ولكن هذا الوصف لا ينطبق على مكة مطلقاً لان الله شخص هذه العاقر بامرأة له واذ خالفت اوامره هجرها « بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة » ولكنه عاد فرحمها ودعاها « كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب » ولكن مكة لم تدع عروس الله حتى يقال ان الله هجرها وعاد فرحمها . وزد على ذلك انه لم يرد ذكرها في التوراة كما ان اسماعيل لم يظهر في مكة ولم ينشأ فيها . ويعرف من قوله « ايتها العاقر » بالتعريف ان المقصود به كان معروفاً ومكة لم تكن معروفة هذه المعرفة عند بني اسرائيل .

وقال صاحب الاظهار ان المراد «بالحداد» المذكور في عدد ١٦ محمد القتول الذي خُلق لاهلاك المشركين . ولكن قد فات صاحب الاظهار ان آلات هذا الحداد لا تنجح كما ترى في عدد ١٧ « كل آلة صورت ضدك لا تنجح » وخلاصة النبوة في الاعداد الاخيرة من هذا الاصحاح هي ان الناس يقصدون

ان يدكوا هذه « العاقر » الى الحضيض بآلات صنعوها ولكن الله بشرها بالسلامة بقولهِ انه هو الذي خلق « الحداد » الذي يعمل آلات وينفخ في النار فلا خوف منه لان الله الذي خلقه قادر ان يحبط كل مساعيه ويكسر كل ما صنعت يداه « بالبر تثبتين بعيدةً عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك ها انهم يجتمعون اجتماعاً ... من اجتمع عليك فاليك يسقط هاانذا خلقتُ الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخرج آلة لعمله وانا خلقت المهلك ليخرب . كل آلة صوّرت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه » (اش ٥٤ : ١٤ ـ ١٧)

فاذا كان صاحب الاظهار متعصباً وعديم الانصاف حتى يستخرج من لا شيءٍ شيئاً او من الشيء ضد ما يعني فلي ملء الثقة انني أجد من القاريء المسلم علماً وانصافاً فيتضح له الحق وضوح الشمس في رابعة النهار لان شمس الحقيقة كبيرة عن ان تحجب بالاكف

العاشرة « اصغيت الى الذين لم يسألوا الخ » (اش ٦٥ : ١ ـ ٦) راجعه في محله في التوراة . قال صاحب الاظهار ان المراد بالذين لم يسألوا ولم يطلبوا العرب . قالوا والوصف المذكور في الآية الثانية والثالثة ينطبق على اليهود والنصارى والمذكور في الخامسة الصق بحال اليهود الذين ردهم الباري واختار الامة المحمدية

والحقيقة ان المراد بالذين لم يسألوا ولم يطلبوا الخ الوثنيون من عرب وعجم الذين لم يكونوا على شيء من معرفة الله وليس المقصود العرب الذين اعتنقوا الاسلامية . واما الشعب المتمرد المذكور في آية ٢ ـ ٦ فهو السواد الاعظم من اليهود وليس اليهود كلهم كما ترى في الآيتين الثامنة والتاسعة

10

لكن الله سمى جمهور المتمردين شعباً كما انهُ سمى جمهور الذين وجدوه بامة

كيف جاز لصاحب الاظهار الجزم بان المراد بالذين لم يسألوا الخ . العرب المسلمون ولكنه جهل او تجاهل عن العرب المتهودين او المتنصرين وهم اشهر من نار على علم . ألا يجوز ان هؤلاء هم الذين وجدوا الله فى ديانتي اليهود والنصارى الآ اذا انكر صاحب الاظهار ان الله معروف فيهما وهذا ما لا يوافقه عليه عاقل من المسلمين

واما قولهُ ان الله ردَّ اليهود والنصارى اي رفضهم واختار الامة المحمدية فمردود كما ترى في الآية الثامنة والتاسعة من هذا الاصحاح « هكذا قال الرب كما ان السلاف يوجد في العنقود فيقول قائل لا تهلكه لان فيهِ بركة هكذا اعمل لاجل عبيدي حتى لا اهلك الكل بل اخرج من يعقوب نسلاً ومن يهوذا وارثاً لجبالي فيرثها مختاريّ وتسكن عبيدي هناك »

هل يوجد لقوس منزع بعدُ ؟ . كلا .

الحادية عشرة « انت ايها الملك كنت تنظر الخ » (دانيال ٢ : ٣١-٤٥) راجعه في التوراة في محله . قال صاحب الاظهار ان المراد بالمملكة الاولى الكلدانيون وبالمملكة الثانية الماديون وبالثالثة الكيانيون وبالرابعة سلطنة اسكندر وقال ان هذا (اسكندر) جعل سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك فبقيت هذه السلطنة ضعيفة الى ظهور الساسانيين ثم صارت قوية بعد ظهورهم فكانت ضعيفة تارة وقوية تارة وتولد في عهد نوشيروان (محمد ابن عبد الله) . وقال المراد بالحجر الذي قطع بدون يدين وسحق و . و . وصار جيلاً عظيماً وملأ الارض باسرها هو محمد . انتهى كلامه

ان هذه النبوة نبوة تاريخية محضة يقتضي لتطبيقها على حوادث التاريخ

من الشرح الطويل ما يضيق عنه نطاق هذه الرسالة ولكننا سنأتي على ماقلَّ ودلَّ حباً بالاختصار

لقد خلط صاحب الاظهار في ترتيب السلطنات عمداً خدمة لمقصدهِ ولاعجب . اذ قسم المملكة الفارسية او مادي وفارس الى ثلاث ممالك الماديين والكيانيين والساسانيين مع انها معتبرة واحدة في النبوة انظر (دانيال ٦: ١٥ و ٨ : ٢٠) وعمله هذا يناقض الاصطلاح التاريخي ايضاً لان الدولة الاسلامية مثلاً مؤلفة من عائلات مالكة متعدّدة من هاشمية وأموية وعباسية عربية وعثمانية تركية ولكنها معتبرة مملكة واحدة لا ممالك . وكذا المملكة الانكليزية والافرنسية وسائر ممالك العالم . واهمل المملكة الرومانية اعظم هذه الممالك وكل ذلك كي يجعل ظهور محمد في ايام هؤلاء الملوك لانهُ اذا اتبع الترتيب التاريخي والمقصود في النبوة يصير ظهور محمد مؤخراً عن ايام هذه الممالك لان الدولة الرومانية المملكة الرابعة في النبوة سقطت شرقاً وغرباً قبل ان ظهر الاسلام كما ترى في ما يلي

وقبل الشروع في التفصيل أنبه القارئ الى أمور ثلاثة لا بدَّ منها في موضوعنا هـذا . الاول اعتبار المملكة واحدة مهما تعددت ملوكها ولو كانوا من عائلات مختلفة والاّ تعددت الممالك تعدد الملوك الافراد وفات الغرض المقصود من النبوة واستحال حلها حلاً صحيحاً

الثاني وجوب درس كل سفر دانيال خصوصاً الاصحاح الثاني والسابع والثامن لان النبوة أو الرؤيا التي نحن بصددها قد أعيدت بحيث الجزء الاعظم منها قد تفسر وخلص القارئ من عناء بحث كثير

الثالث اعتبار غلبة المسيح غلبةً روحية مجازية غلبة على المبادئ

والاميال والقلوب

لاخلاف ان المملكة الاولى هي المملكة البابلية الكلدانية الاشورية العظيمة المشار اليها في (دانيال ٢ : ٣١ و٣٧)

المملكة الثانية هي مادي وفارس المعبر عنها بالكبش (دانيال ٨: ٣و٢٠) قيل في النبوة « رأيت الكبش ينطح غرباً وشمالاً وجنوباً » فالنطح يدل على الانتصار والتاريخ يثبت ان هـذه المملكة قد انتصرت غرباً على مملكة بابل العظيمة وجزيرة ما بين النهرين والعراق العربي وسوريا وشمالاً على ارمينيا وآسيا الصغرى والبلاد التي حول بحر قزبين وجنوباً على فلسطين والحبشة ومصر وليبيا . وهـذه المملكة مع انها عظمت جداً كانت تعتبر اصغر من سالفتها اتماماً للنبوة (دانيال ٢ : ٣٩)

المملكة الثالثة (دانيال ٢ : ٣٩) هي المملكة المكدونية رأسها اسكندر ابن فيلبس المشار اليـه بالتيس الذي جاء من المغرب (دانيال ٨ : ٥ و ٢١) والتيس ذو القرن الواحد كان يشير دائماً الى المملكة المكدونية كما اثبت هذا التاريخ والآثار . كما ان الكبش ذا القرنين كان يشير الى المملكة الفارسية . قال يوسيفوس المؤرخ ان رئيس كهنة اليهود ارى اسكندر الكبير عند ما غزا اورشليم نبوة دانيال عنه فسُرَّ الاسكندر وانعم على اليهود انعامات كثيرة . والاسكندر غزا بلاد فارس سنة ٣٣٤ ق . م . وكسر الفرس في موقعة جرانكوس سنة ٣٣٣ وكسرهم ثانياً في موقعة إِسُّس وفتح خراسان ومرو وسمرقند وهيركانيا وسجوريانا واسيا الصغرى وقهر داريوس الاكتع سنة ٣٣١ وفي سنة ٣٣٠ دوّخ كل السلطنة الفارسية وسحقها وفي سنة ٣٢٨ قهر ملك الهند وظل سائراً في الهنـد حتى دخل نهر الكنج وتسلط على اكثر

العالم المعروف حتى صحّ ان يقال فيه انه تسلط على كل الارض (دانيال ٢ : ٣٩) ولما مات اسكندر قسمت المملكة بعده على قواده الاربعة (دانيال ٨ : ٨)

المملكة الرابعة هي المملكة الرومانية المشار اليها في دانيال (٢ : ٤٠ و٧ : ٧ و٢٣ و٢٥) ولا يمكن ان يكون المراد غيرها اذ قالت النبوة انها تكون صلبة كالحديد بعد ان عبر عن الاولى بالذهب والثانية بالفضة والثالثة بالنحاس فمن الضروري انها تكون اقوى من اللواتي سلفنَ والتاريخ يبين لنا هذا باجلى بيان لان الرومانيين داوموا شنّ الغارات والحروب ضد المكدونيين حتى اخضعوا كل بلادهم واكثر البلدان التي تسلطوا عليها وكل ذلك حدث ما بين سنة ١٦٨ ق . م . و٣٠ فامتلكوا في الجنوب قيروان ومصر وفي الشرق الى حدّ الفرات واسوار مدينة نصيبين وملكوا تخر الاراضي القدس وفلسين (دانيال ٨ : ٩) لذلك كان لهذه المملكة من الملك العام والصولة والقوة اكثر من سابقيها اذ هي اخضعت الممالك ومحقت استقلالهم وخفضت كبرياءهم وامتلكت كل املاكهم وداست كل شرف وقوة حتى صارت في مدة ثلاثة قرون امبراطورية عظيمة مؤلفة من اوربا واسيا وافريقيا وامتدت سلطنتها من الاوقيانوس الغربي الى دجله ومن جبال الاطلس الى الرين والدانيوب وفي أيام هذه المملكة اقام الله حسب كلامه المملكة المسيحية ملكها المسيح الحجر الذي رفضه البناؤون والحجر المقطوع بدون ايدٍ . وهذه المملكة اخضعت المملكة الرومانية شرقاً وغرباً سنة ٣٢٠ و٣٩٥ م . اخضاعاً روحياً اذ صارت ديانتها الديانة السائدة بدون سيف ولا رمح او قوة قاهرة وبعد ما قاست الاضطهادات العظيمة والمذابح الهائلة اخضعت اعظم الممالك معرفة وقوة وجاهاً ومالاً كما ترى الحال في ايامنا هذه . ولا بدّ انها تخضع ما بقي من

العالم وتملأ الارض حسب النبوة حتى يكون الكل في الكل ملكاً لربنا ومخلصنا يسوع المسيح ملكها الروحي . ولكن هذا الملك وذاك الاخضاع روحيّ قد تمّ بفعل الروح القدس الذي اخضع القلوب العاتية وغيّر الاميال الشريرة . وهو الذي غير قلب الملك قسطنطين الروماني واخضعهُ فصار مسيحياً وهو الذي حارب الشهوات فسحقها وحارب الاصنام فحطمها ودوّخ البلاد وساد على العباد وهذه السيادة تمتدُّ يوماً فيوماً وتدوم الى ابد الآبدين اتماماً لنبؤة دانيال وأقوال الله الملك العظيم

واما ظهور محمد ونشوء الدولة الاسلامية فلم يكن في عهد الرومانيين الوثنيين المملكة الرابعة حسب ترتيب نبوة دانيال بل بعدها بمئتي سنة وخمسين وهذا ما حمل صاحب الاظهار على ان يتبع ترتيباً آخر خلاف الترتيب النبوي الصريح في قيام الممالك ومراتبها في العدد تضليلاً للقارئ . فجعل الماديين مملكة والكيانيين مملكة أخرى والساسانيين مملكة ثالثة مع ان الثلاث عائلات مالكة في مملكة واحدة لا ممالك

ان موضوع الخلاف هو تعيين المملكة الرابعة لان الاولى هي مملكة الكلدانيين كما قال دانيال النبي للملك نبوخذ ناصر (دانيال ٢ : ٣٧) ولا خلاف في هذا . والثانية هي مملكة مادي وفارس كما قال جبريل الملك (لدانيال ٨ : ٢٠) وهذه لا خلاف فيها أيضاً

والمملكة الثالثة هي مملكة المكدونيين كما عين جبريل الملك (لدانيال ٨ : ٢١) ولا يمكن ان تكون الكيانيين لان الكيانيين والماديين عائلتان في مملكة واحدة . واما المملكة الرابعة فهي موضوع الخلاف وقد تبين لك مما سبق ويلي انها المملكة الرومانية بدون مرآء لذلك قد خاب ظن صاحب

الاظهار. بعدسقوط المملكة المكدونية نهضت المملكة المادية الفارسية ولمت شعثها تحت سيادة الساسانيين ولكن لم يعد لها دخل في تعداد ممالك النبوة وترتيبها والا لافضى هذا الى عدِّها مرتين وايصال عدد الممالك في النبوة الى خمس وهذا خلاف المقصود كما رأيت

قد جعل صاحب الاظهار سلطنة فارس مملكة خامسة وهو لا يدري ان محمداً ظهر في عهدهم وظهوره في هذا العهد لا يصدق على المملكة التي لاتنقرض لان هذه المملكة تظهر حسب النبوة في أيام الممالك الاربع كما رأيت

قال صاحب الاظهار ان الرؤيا وتفسيرها متعلقان بديار فارس ولكنه لم يخبرنا من اين جاءه هذا العلم ومن أتاه بهذا النبأ

لايمكن ان تكون الدولة الاسلامية المملكة التي لاتنقرض المشار اليها في (دانيال ٢ : ٤٤) او الحجر المقطوع بدون يدين (دانيال ٢ : ٣٤) لان الدولة الاسلامية لم تنشأ الا بعد اعتناق الرومانيين (الدولة الرابعة) المسيحية بل هي مملكة المسيح ابن الانسان المشار اليه في دانيال (٧ : ١٣ و ١٤)

« كنت ارى في رؤى الليل واذا مع سحاب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الايام (الله) فقربوهُ قدامهُ فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والامم والالسنة سلطانهُ سلطان ابديٌّ ما لن يزول وملكوتهُ ما لا ينقرض » حمداً لرب العالمين الذي فسر الرؤيا كما رأيت بتمامها بحيث لم يعد مجال لاحدٍ ان يفسرها بخلاف ذلك

الثانية عشر « هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب فجارهم على جميع اعمال فجورهم الخ » (يهوذا ١ : ١٤ و ١٥) راجعها في الانجيل

قال صاحب الاظهار ان المراد بالرب هو محمد وبقديسيه الصحابة وقال ان لفظة (الرب) تطلق على فرد من البشر . فدحضاً لزعمهِ أقول :

ان لفظة (الرب) معرفة بال العهدية لم ترد في التوراة والانجيل لغير الله أو المسيح كلمة الله ولكنها عند الاضافة قد اطلقت على كثيرين حيث القرينة والاضافة تعينها فلا شبهة اذ ذاك . وها قد رأيت ان لفظة (الرب) في الآية معرفة بال العهدية غير مبدلة من شيء فلا تطلق اذاً على غير الله . وما يثبت هذا قول الكتاب « ليصنع دينونة على الجميع » ودينونة الجميع لا يمكن ان تعزى لغير الله . أيجوز ان تطلق هذا على محمد او غيره من البشر

اذا جاز لصاحب الاظهار القول ان المراد بالرب محمد فهل يجوز في شرعه ان محمداً جاء ليدين الجميع . فالجملة « ليصنع دينونة على الجميع » قد افحمت صاحب الاظهار وسفهت برهانه وكفتني مؤونة التعب . هل كان لمحمد ربوات (ربوات جمع ربوة والربوة عشر كرات والكرة مئة الف فتكون الربوة عشر ملايين . وربوات جمع مؤنث سالم لا يطلق على اقل من ثلاث ربوات اعني ثلاثين مليوناً من الانفس وكان الكتاب يقول « جاء الرب في ثلاثين مليوناً من قديسيه الخ ») من الصحابة حتى يجوز لصاحب الاظهار ان يقول ان المراد بالقديسين الصحابة ومحمد لم يكن له من الصحابة الا ١٤٤ الفاً من الانفس (نقلاً عن الاشهب) ولا شك ان المقصود من الآيتين هو مجيء الله للدينونة مع قديسيه في اليوم الاخير

واختنوخ (ادريس) قد تنبأ بمثل هذا الكلام انذاراً للناس في ايامه قبل الطوفان اذ كثر الشر وتفاقمت الرذائل والفجور حتى طفح الكأس وبلغ السيل الربى فدان الله الجميع واهلك العالم القديم بالطوفان كما هو مذكور في محله

الثالثة عشر « وفي تلك الايام جاء يوحنا المعمدان الخ » (يو ٢ : ٣) راجعه في الانجيل

قال صاحب الاظهار ان المراد بالملكوت او ملكوت السموات لو ملكوت الله الشريعة المحمدية فدحضاً لهذا الرأي اقول :

ان المراد بهذا الملكوت هو ملكوت المسيح الروحاني اى ملك المسيح على القلوب الملك الذي انبأ عنه دانيال كما رأيت سابقاً وسمي ملكوت السموات لان مصدره وصفاته ونتائجه سماوية ولان ملكه المسيح جاء من السماء وتمييزاً له عن الملكوت الارضي . واكثر اليهود ضلوا اذ ظنوه ملكوتاً ارضياً لذلك رفضوا المسيح ملكه . فالله سماه سماوياً اصلاحاً لغلطهم . ويراد به ايضاً انتشار الديانة المسيحية واخضاعها القلوب والحاسات وتأثيرها في الافراد والجماعات وقد تشيَّد هذا الملكوت وبشَّر به منذ يوحنا المعمدان (يحيي) الى الآن ولم يزل سائراً في سبيل النجاح والتقدم تحت راية المسيح ملك السلام

لا يمكن ان يكون المراد بهذا الملكوت الشريعة المحمدية بدليل قول المسيح « ان من القيام هنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد اتى بقوة » (مز ٩ : ١ ومت ١٦ : ٢٨ ولو ٩ : ٢٧) وليس ان بعضاً لا يموتون حتى يروا هذا الملكوت بل ان هذا الملكوت كان موجوداً وقتئذٍ ومؤسساً كما ترى « لان ها ملكوت الله داخلكم » (لو ١٧ : ٢١) وقد قال المسيح لليهود كلاماً يستدل منه ان هذا الملكوت كان معهم « لذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمةٍ تعمل اثماره» (مت ٢١ : ٤٣) وكان يقصد بهذا الملكوت تارةً بدءهُ وطوراً ملئه فتنبه

واما تشبيه المسيح هذا الملكوت بخميرة وبحبة خردل وبزارع فيدل على بداءته الصغيرة ونهايته العظيمة . فالخميرة صغيرة ولكنها تخمر العجين كله وحبة الخردل اصغر البقول ولكنها متى نمت تصير شجرة كبيرة تتآوى طيور السماء في اغصانها كما هو الحال في الديانة المسيحية خلافاً لما استنتجه صاحب الاظهار . أيوجد شك بعد كل هذا في غلط صاحب الاظهار . أليست هذه الآيات كافية للدلالة على ان هذا الملكوت هو ملكوت المسيح الروحي دون سواه

الرابعة عشر « قدم لهم مثلاً آخر قائلاً يشبه ملكوت السموات حبة خردل الخ » (مت ١٣ : ٣١ و ٣٢) راجعه في محله

قال صاحب الاظهار ان المراد بملكوت السموات هنا طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد

كيف يجوز ليت شعري لصاحب الاظهار ما لا يجوز لغيره . كيف لا يجوز ان يكون المراد بالملكوت وحبة الخردل ملكوت المسيح ولا سيما ان القرينة تعين هذا والايات الصريحة تثبته كما رأيت في البشارة السالفة . ألم يكن ملكوت المسيح صغيراً ومحتقراً في بداءته الم يصر عظيما بعدئذٍ حتى ان اكثر ممالك الارض اصحاب الصولة والغنى والمعارف والاختراعات قد انضموا اليه وتشرفوا به . ألم يصر الدين المسيحي معروفاً ومتبعاً في المشارق والمغارب دون سائر الاديان المحصورة بالنسبة اليه في بقع صغيرة من الكرة الارضية . وليس في المثل ما يشير ادنى اشارة الى الديانة الاسلامية كما رأيت

الخامسة عشر «فان ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت الخ» (مت ٢٠ : ١ ـ ١٦) راجعه في محله في الانجيل

قال صاحب الاظهار فالاخرون امة محمد فهم يقدمون في الاجر وهم الاخرون الاولون . ولكن الحقيقة غير ذلك كما يستدل من نفس الايات ومن التي سبقتها . سأل الحواريون المسيح كما تقرأ في آخر الاصحاح السابق قائلين « ها نحن تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا » فاجابهم المسيح انهم يشاركونه في المجد والكرامة يوم مجيئه الثاني وانه يكون لهم مئة ضعف عوضاً عما تركوه من اجله والحياة الابدية . ثم ضرب لهم المثل (موضوع كلامنا) ليعلمهم ان كل ما وعدوا به من البركات هو هبة لا اجرة وان الحياة الابدية توهب لكل المسيحيين على السواء اولون كانوا ام آخرين . وان لا حق لاحد بادعاء الاهلية او الافضلية بناء على انه اتى الى المسيح قبل غيره او انهُ ترك لاجله اكثر من الغير او انه زاد غيرة على سواه . فكلام المسيح اذاً ليس بنبوة عما سيحدث في السماء بل بيان ما ينتج ضرورة مما اظهره الحواريون من البرّ الذاتي وتوقع السعادة العلوية كاجرة وان لا حق للذين دعوا اولاً الى ملكوت السموات وتعبوا وقتاً طويلاً ان يدّعوا ثواباً اعظم من ثواب الذين دعوا اخيراً وتعبوا زمناً قصيراً

فالكنيسة هي كرْم المسيح والله يدعو الناس الى العمل فيها بواسطة الانبياء والرسل والكتاب والروح القدس . فدعا الله اليهود اولاً ودعا بعدهم امماً مختلفة من الوثنيين وهو يدعو الآن المسلمين ويا حبذا لو قبلوا الدعوة ولبوا النداء كي ينالوا الاجرة مثل المسيحيين وان كانوا قد جاؤا متأخرين عنهم وانا الضمين ان المسيحيين لا يحسدونهم . واما معنى الآية ١٦ « هكذا يكون الآخرون اولين والاولون آخرين » فهو ما يأتي - ان قضاء الله ليس كقضاء الانسان لان كثيرين يحسبهم الناس في الدنيا آخرين في القداسة ولكن الله

يحسبهم في الآخرة اولين لان الناس ينظرون الى الظاهر ويحكمون ولكن الله ينظر الى الباطن . وهذا توبيخ للحواريين اذ بيَّن لهم المسيح انهم ان لم يرجعوا عما اظهروا كانوا الآخرين والاصغرين في ملكوت السموات وان الذين يتضعون مع انهم آخرون بالنسبة اليهم يجعلهم الله أولين في ملكوته ولكن الجزاء واحد

السادسة عشر « اسمعوا مثلاً آخر كان انسان رب بيت غرس كرماً الخ » (مت ٢١ : ٣٣ ـ ٤٥) راجعهُ في محله في الانجيل

قال صاحب الاظهار ان الحجر الذي رفضهُ البناؤن كناية عن محمد والامة التي تعمل أثماره كناية عن أمته

ان الحجر هو موضوع الخلاف المهم لذلك نقتصر عليه

لما كان المسيح قد بيَّنَ في المثل ان الكرامين رفضوا الابن وسلطته واخرجوه خارج الكرم وقتلوه التفت الى اليهود الكرامين وقال لهم « أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضهُ البناؤن هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا » مبيناً لهم من المزمور (١١٨ : ٢٢) ان الله انبأ منذ القدم بنفس الامر الذي قصده المسيح في المثل وانه هو المراد بذلك الحجر. والحواريون فهموا ان المراد بذلك الحجر هو المسيح كما ترى في أعمال (٤ : ١١ وأفسس ٢ : ٢٠) واليهود فهموا انهُ تكلم عنهم كما ترى بعد المثل عدد ٤٥

ولا عجب ان هذا الامر (كون المسيح رأس الزاوية واساساً للكنيسة) كان عجيباً في عين داود كما استبعد صاحب الاظهار لان داود لم يكن ليفهم كل مقاصد الله في مسألة ارسال الابن لاتمام عمل الفداء لانه لم يفهم الاَّ

ما أعلنه الله لهُ عن هذا الامر وبالطبع ان ما أعلن لهُ كان جزءًا من كل

ولا شك ان هذا الامر حير اليهود لكونه جاء خلافاً لما كان يتوقعه اكثرهم لذلك رفضوا المسيح . ولا ريب ان كل حوادث عمل الفدآء معجبة للغاية وهل أعجب من أن الله يرسل ابنه الوحيد فادياً وان الكلمة الازلي صار جسداً واتضع في كل حياته على الارض ورُفض من الامة المختارة وقتل ومات وقام . وهل أعجب من أن الله بنى على المسيح كنيستهُ المجموعة من اليهود ومن كل امم الارض وجعلها دائمة الى الابد فكل هذه الامور لا تزال عجيبة عند الناس في الارض والملائكة في السماء . وعدم ادراك سر هذا الفدآء وتجسد الكلمة حمل اخواننا المسلمين على عدم التصديق ولكنهم في غلط مبين لانهم اذا كانوا لا يصدقون الاّ ما يفهمون فبشرهم انهم لا بد ان ينكروا عقولهم ووجودهم في حيز الوجود

« ينزع منكم ويعطى لامة أخرى » هذا خطاب من المسيح لليهود الذين لم يؤمنوا بهِ والمراد بهِ انهُ ينزع منهم وسائط النعمة والبركات المختصة بشعب الله ويعطيها للذين يقبلونهُ فادياً من الامم غير اليهود

فترى ان المسيح شخص في المثل اعمال اليهود الكرامين وعمل الله صاحب الكرم وبيَّنَ لليهود ما فعلوه بعبيد الله الانبياء من الرجم والطرد وما سيفعلونهُ في ابن صاحب الكرم من القتل . وهم فهموا ان المثل كان عليهم والمسيح صرح لهم انه هو الحجر الابن الذي رفضوهُ مستشهداً بنبوءة داود فما هو مدخل محمد في هذا المثل وهل يوجد شيء فيه ينطبق عليهِ . كلاَّ . وعسى المسلمون ان يقبلوا المسيح فادياً ومخلصاً لهم كي ينالوا النعم والبركات التي نالها غيرهم

٨

« ومن سقط على هذا الحجر يترضض » الحجر هو المسيح كما علمت واشار بهذا الى من عثروا بالمسيح لاتضاعه واكثر الذين سمعوا المسيح وقتئذٍ كانوا في تلك الحال التي هي حال اثم وخطر اذا اصرَّ المرء عليها ولم يتب تقوده الى الهلاك

« ومن سقط هو عليه يسحقه » وهذا الحجر المسيح يسقط يوم الدين على الذين استحقوا الهلاك ولكنهُ لا يسقط الا على الذين عثروا به ورفضوه وليس في هذا كله اشارة الى محمد والقرينة لا تدل على هذا والاَّ جاز لنا ان نقول ان الحجر يشير الى الاسكندر او نيرون او غيرهما من الذين سحقوا اُمماً كثيرة واعملوا السيف في رقاب العباد اكثر مما فعل محمد . واما قول المسيح الذي استشهد به صاحب الاظهار « لم آتِ لادين العالم بل لاخلص العالم » فالمسيح قصد به الوقت الذي كان به على الارض لانه جاء حينئذٍ لكي يموت على الصليب لخلاص العالم ولكنه سيدين العالم لا شك في اليوم الاخير كما يظهر من كلامه في محالّ متعددة

السابعة عشر « من يغلب ويحفظ اعمالي الى النهاية الخ » (رؤ ٢ : ٢٦ - ٢٩) راجع هذا في محله قد ادعى صاحب الاظهار ان المراد بالغالب محمد ولكن الحقيقة خلاف ما ادعى

ان المؤمن لفي جهاد دائم ما دام في قيد الحياة الدنيا مع الاهواء الفاسدة والاميال الشريرة والشيطان مصدر هذه الشرور . فالمسيح وعد الغالب اي كل غالب باعطاء السلطان على الامم . وليس الغالب شخصاً معيناً كما وهم صاحب الاظهار لان المسيح وجَّه خطابهُ وقتئذٍ لاهل كنيسة ثياتيرا احدى مدن اسيا الصغرى وهو موجَّه لنا ايضا والمسيح كان قال لهؤلاء قبل آيات

موضوعنا « وانما الذي عندكم تمسكوا بهِ الى ان أجيء » واردف هذا بقوله « من يغلب » اي من يغلب منكم فسأعطيه السلطان تشجيعاً لهم

كيف جاز لصاحب الاظهار ان يقول ان المراد بالغالب محمد . اما غلب احد قبلهُ . والحقيقة ان محمداً لم يغلب هذه الغلبة المقصودة مطلقاً ولم يحفظ اقوال المسيح ولم يكن هذا الكلام موجهاً لمحمد بل الذين آمنوا بالمتكلم المسيح وقتئذٍ الذي خاطب يوحنا الرسول قائلاً « هذا يقولهُ الاول والآخر الذي كان ميتاً فعاش وهو ابن الله » (رؤ ٢ : ٨ و ١٨)

والمسلمون يعتقدون ان محمداً نبيهم لم يؤمن بالمسيح انهُ مات وانهُ ابن الله فما بالهم اذاً يقولون ان خطاب المسيح موجه اليهِ . فمن هذا نرى ان المسيح لم يوجه الخطاب الى محمد والخطاب لا يصدق على محمد بل على اهل ثياتيرا والذين ينحون نحوهم من المؤمنين بالمسيح الفادي حقيقة

واما الرعاية بقضيب من حديد الذي يرعى به المسيح الامم حسب نبوة داود مز ٢ : ٩ فتدل على القوة لا الظلم

والمسيح وعد شعبهُ المفديين بمشاركته في الحكم اى ان تبشيرهم وانذارهم يدينان في اليوم الاخير الذين رفضوا الدعوى وليس في هذا اشارة لمحمد . والله اسأل ان يجذب اخواننا المسلمين للايمان بالمسيح المخلص وحفظ وصاياه لكي يكونوا من الغالبين والمشاركين للمسيح في الاحكام

الثامنة عشر « قد مر الكلام عليها في باب الفارقليط ومحمد » وجه ٧٧

الخاتمة

انا أعلم أيها الاخ المسلم هداك الله انك لا تسلم لي بكثير من ابحاث هذا الكتاب وبكثير مما توخيت تفسيره من القرآن وانك لا بدَّ من ان تستشير الرازي والبيضاوي والكشاف والجلالين وغيرهم من كبار المفسرين لاستجلاء غوامض الابحاث التي أثبتها لك من القرآن . ولكني اقول لك عن اختبار ان هؤلاء المفسرين يزيدون المسألة تعقيداً بآرائهم المتعددة ومذاهبهم المتناقضة وابحاثهم المطولة المملة ويلقون على محيا الحقيقة حجاباً كثيفاً فيعود المسترشد حائراً لا يدري الغث من السمين او الباطل من الحق اليقين وان كنت في ريبة مما قلته لك فامتحن ترَ صدق قولي

وفي مثل هذه الظروف أناشدك الحق ايها الاخ الطالب الوقوف عليهِ غير المستنكف الرجوع عن الغلط والاقلاع عن الشطط وانت عالم ان المقرّ بالغلط اعظم من مظهره ان تعرني سمعك قليلاً ولك الفضل

انصح لك في هذا المقام ان تستخدم عقلك وتستعمل ما أوتيت من الحكمة من الله في قرآءة ما كتبتهُ حبّاً لك خصوصاً الآيات التي اوردتها لك من كتابك القرآن . وان تطالع الكل بانعام النظر التام وبدون تعصب مشين شأن العالم الباحث وان تفهم حسب القواعد العلمية التي تعلمتها وتترك المفسرين وشأنهم . ألست تقول ان القرآن « نزل بلسان عربي مبين » فما هو معنى هذا البيان اذا كان يحتاج الى مئين من مجلدات التفسير وكم يحتاج اذاً لو كان بلسان عربي مُغلق

اذا كنت متطلعاً من اللغة العربية بفروعها وأسباب نزول آيات القرآن

وكان القرآن مكتوباً بلسان عربي مبين فلماذا لا تفهمه بنفسك بدون مفسر أو شارح . ألا تعلم ان اللغــة آداة التعبير عما في الضمير . فاذا كان المؤلف بارعاً في اللغة متقناً لها وعارفاً اساليب التعبير فيها في كل مطلب سهل عليهِ ان يعرفني ما في ضميره تماماً اذا كنتُ من درجته في المعرفة . والا فيكون احد أمرين اما أن يكون هو جاهلاً لغته ولم يتمكن من التعبير فيها عما خالج فؤاده واما ان اكون انا غير متقن تلك اللغة فلم أفهم منهُ المراد

واذا قلت ان القرآن نزل لا شك بلسان عربي مبين واما عدم فهمهِ أحياناً فهوجهل القارئ للغة العرب قلتُ الا يوجد من عرف تلك اللغــة بحذافيرها وأتقن كل فرع من فروعها وذلل منها الصعاب وملك ناصيتي النثر والشعر ولم يذر منها شاردة او واردة حتى ادركها كي يخبرنا بمعاني القرآن الصحيحة على وجه نفهم منه صحة تلك المعاني فنكون له من الشاكرين

لاجرم انك تعتقد والسواد الاعظم من الادباء يعتقدون انهُ قد وُجد ويوجد علماء اعلام من مسلمين ونصارى في مصر والشام خصوصاً والشرق والعرب عموماً قد حازوا المعارف التي ذكرناها كلها وهم قادرون على استخراج معاني القرآن المقصودة الاّ ما تشابه منه والاّ فليس من القرآن فائدة . فهؤلاء اذا نزعوا التعصب الديني من رؤوسهم وطرحوا الادعاء ظهرياً وبحثوا في الامر بحث علماء بحيث لا يميلون وراء الاهواء يقدرون بكل سهولة ان يخبرونا عن تلك المعاني . وبما ان الاجتهاد لم يبطل فكل من سار في سبيل العلم والاجتهاد حاز هذه المرتبة وقدر ان يفهم المقصود . والله يحاسب المرء على قدر معرفته وليس حسب معرفة العلماء الذين يثق بهم ولكنه يطلب منا ليس ان نتقاعد بل ان ندرس ونطالع ونبحث بانفسنا حتى نصل الى المرغوب

اعلم ايها القارئ الكريم ان الله خلق السموات وزينها بالكواكب الدرارى . وابدع الارض وكساها بحلل تتيه بها على جميلات الجواري . ولكن افضل ما خلق الحيوان . وافضل الحيوان الانسان . الحيوان الناطق المدرك . وافضل ما في الانسان النفس . لانها خالدة اما في شقاق دائم او في سعادة مستمرة لا نهاية لها . فلذلك وجب على المرء العاقل ان يبحث عما يوصله الى سعادة النفس . وعن كيفية الحصول على تلك السعادة . وعن الطريق التي تقود الى جنات النعيم . وهو في هذا العالم . قبل ان يأتي زمان لا ينفع . ولا تقبل فيه شفاعة فيعض بنواجذ الندم على اصابع الفشل

وها قد عرفت مما سبق انه ليس من واسطة للحصول على مغفرة الخطايا وطهارة القلب الا المسيح وليس من كتاب يدلّ على طريق هذا الخلاص الا الكتاب المقدس التوراة والانجيل وليس من ديانة توفق بين عدل الله ورحمته واظهار محبة الله للناس الا الديانة المسيحية فانتهز الفرصة ايها الاخ المسلم واعتنق هذه الديانة لان الوقت وقت خلاص واليوم يوم مقبول

والقصد من الابحاث الماضية والمناظرة فيها ليس المصارعة للحصول على الغلبة وليس القصد بيان المعارف الشخصية للافتخار وليس القصد التشفي والانتقام لحزازات في الصدور بل مصدر هذا الحب الخالص لخلاص النفوس والقصد منه الوصول الى الحقيقة والحصول على السعادة بواسطة اتباع تلك الحقيقة والله اسأل في الختام ان يمنح اخي المسلم روحهُ الصالح وينير ذهنه في تفتيشه على الحق ويهديه الصراط المستقيم موضوع صلاته اليومي كي ينال الخلاص بالمسيح والحياة الابدية في النعيم الى ابد الآبدين

فهرس الكتاب